الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح – ورقلة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدبالعربي

أدب الاعتراف عند ابن حزم الأندلسي في كتابه طوق الحمامة

– دراسة أسلوبية نفسية–

مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي

تخصّص : أدب قديم

إعداد الطالبة: فطِيمة عبد الواحد

إشراف الدكتور أحمد بقار

السنة الجامعية

2016/2015

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح والدي الكريم في رحاب ربه العظيم.

إلى من ارتقبت ثمرة غرستها طويلا ... أمي رمز الكفاح.

إلى أنيس وحدتي ورفيق دربي ومشجعي زوجي.

إلى من يبوح له القلب ولدي صفوان عبد المحي.

إلى من ساندوني وتحملوا انشغالي وبعدي أولادي ...

عبد الرشيد، محمد ضياء الحق،راحيل شمس الهدى

ابتهال هبة الرحمان،التوأم أفنان صفا وريحان مروى

والصغيرة فار يهان.

*أهـــــــدي هذا العـــــــمل

المقدمة

تقديم:

وصّل اللهّم وسّلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليما عدد ما أحاط به،علمك وخط به قلمك وأحصاه كتابك.

يعتبر كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي صورة شاملة وجديدة للأندلس، لا نألفها في كتب المؤرخين والدارسين ، فهو يتناول فلسفة الحّب ، و فيه أعراضه وأصوله وآفاته، فضلا عن سوء المعصية ،وعن فضل التعفف.وقد كتبه ابن حزم في شكل أخبار ورسائل بأسلوب بعيد عن التكلف، تضمنته معلومات شاملة وكاملة تصور البيئة الأندلسية وكل ما يتعلق بالمرأة، وهذا ما جعل هذا الكتاب ينقل إلى عدة لغات.وابن حزم من حيث تأليفه في الحّب هو أول إنسان والأسبق إلى الحديث في هذا الموضوع ، فهو يعترف أن الحّب هو شغل المرأة الشاغل وهذا ليس غريبا ، ومن هنا تتناول هذه الدراسة أدب الاعتراف وما يعتريه من أسئلة وما يتفرع عنه من أنواع هي في صميمه، محل السيرة الذاتية ، والسيرة القائمة على قاعدة التجربة الذاتية، وقد تنضم إلى هذا الأدب اعترافات وفق النموذج الذي عممه جان جاك روسو في كتابه (الاعترافات)[1]. فهذا المصطلح الجديد تقع أهميته، في اعتراف الكاتب بوقائع وتفصيلات عن شخصه هو نفسه، فهل يمكن اعتبار ماكتبه القدماء المصريون وكلماتهم المحفورة على الحجارة العتيقة ذكرا لتأريخهم أو ذكريات عنهم؟

وهل يمكن اعتبار المعلقات السبع الشهيرة التي تبدأ بمعلقات امرئ القيس إلا هتافا بذكرياته واعترافاتحياته؟

فابن حزم درس أحوال العاشقين والعاشقات، وتتبع أخبار المحبين من الرجال والنساء ، وهذا الكلام يدفعنا إلىالإشارةإلى الدراسات السابقة التي سبقت ابن حزم وتناولت الكتب واصفة ومحللة، ولقد سبقه في ذلك محمد ابن داود الظاهري في كتابه " الزهرة" وكذلك محاولات جرت حول مفهوم فلسفة الحّبفي كتاب " مروج الذهب " للمسعودي .

وهناك عدة أسباب دعتنا للبحث عن هذا الموضوع ويمكن تلخيصها في الجوانب الآتية:

– إنّه موضوع فلسفي خالص، أضيف إلى غيره من الموضوعات الفلسفية كالوجود والعدم، وإنّ الحديث عن الحّب هو الحديث عن كل الحياة، فهو حديث عن الفنّ والجمال فيه. وفي أثناءالتجوال في حديقة الأدبالأندلسي ، التي اخترت منها هذه الباقة باقة طوق الحمامة ، حيث الحّب يحلق حوله الأندلسيون في مجالسهم ومحافلهم

[1] جان جاك روسو (1712-1778) كاتب وفيلسوف سويسري من أهم كتبه العقد الاجتماعي ، الاعترافات، ويعتبر هذا الأخير من روائع كتب السيرة بث فيها روسو لواعج قلبه، ونداءات عقله ،إلى عالم تقود فيه الحرية إلى الحقيقة ، وقد لخص فيه معاناته في الوحشة والشعور بالاغتراب والحنين إلى الوطن.

وقصورهم.وربّ سائل يقول: لماذا الحديث عن الحبّ في أيام لم يعد لنداءات القلب أي صدى، حيث دوي القنابل والرصاص يّصم الآذان، ودخان البارود يعمي الأبصار، ويسبب القلق والاضطراب النفسي يهدّد الأعصاب؟جوابنا في ذلك متى ارتفع صوت الحّب إلّافي مثل هذه الظروف؟

– والسبب الآخرالذي دفعنا إلى البحث هو إّننا لا حظنا،أبحاث الدارسين في مجال الأندلسيات لما تنزل محدودة ، وقليل جدا فيها من يقول شيئا نافعا أو يضيف شيئا جديدا ، لأن الاهتمام بالأندلس تاريخه وحضارته وأدبه،جاء متأخرا والقائمون عليها الآن ، وهم قلة، أمامهم سنوات مضنية من العمل لكي يزيحوا عن هذه المنطقة من تراثنا غبارالإهمال، ويعبدوا الطريق أماماألأجيال القادمة، طرائق البحث من نشر المخطوطات وتوفير المصادر ، ودراسة اللغة الاسبانية وكّل تخصص في مجال الأندلسيات دون التمكن منها ثماره عقيمة ، وحظّه من النجاح محدود..

– إنّ تاريخ الأندلس العريق، خاصة بين ميادين العلم ومجالات التفكير، وفي دنيا الأدب وفوق أغصان الفنون، نبغ فيه من العلماء الجهابذة، و الأدباء الأفذاذمن أعلامهم ، في مختلف مجالات النشاط الفكري والديني ، ومن بينهم ابن حزم.

–ومن بين الأسباب الموضوعية الأخرى: إمكانية مواصلة البحث، في هذه الدراسة مستقبلا، حيث أتصور إمكانية السير في الموضوع نفسه مع توسيعه،كذلك أن أدب الاعتراف لم يعنى بكثير من الدراسات،وخاصة أنه ارتبط بشخصية ابن حزم الفقيه،والإمامالظاهري ، أضفإلى ذلك قلة الدراسات التي تناولت أدب الاعتراف ، وكثرة الآراء وتداخلها في تعريف هذا المصطلح، وتوزعه على أشكال أدبية مختلفة من سيرة ورواية وأخبار وغيرها.

وأمام هذه المدونة كان على تحليلنا أن يكون في مستواه، وهي مسؤولية تفرض علينا بذل قصار جهدنا، في إظهار وجه آخر لهذا النص، وجه جديد لم يتناوله الباحثون من قبل ،بحسب اطلاعنا فتكون لنا بذلك أسبقية المبادرة .

واتبعت لحّل الإشكاليات المطروحة عدة نقاط يمكنإجمالها فيما يلي:

– تمهيد.

– في الفصل الأول درست ابن حزم حياته وعصره ، وما اعتراها من تحولات وتقلبات اجتماعيةونفسية، بسبب الظروف السياسية التي مرت بها الأندلس، وتناولت في المبحث الثاني الحبّ في الأندلس، انطلاقا من تعريف كتاب طوق الحمامة وأهميته وأسلوبه ، ثم المرأة من خلال هذا الكتاب واتجهت الى شخصية ابن حزم وتناولت الجانب النفسي والخلقي فيها.

– ثم انعطفت إلى الفصل الثاني، وتناولت فيه أدب الاعتراف والسيرة الذاتية، ثم كيف تمثل الاعتراف في الأخبار الواردة في كتاب طوق الحمامة،أمّا المبحث الثاني فتناولت فيه تجسيد الاعتراف في هذا الكتاب، وخصّصت الفصل الثالث للدراسة الأسلوبية، بجميع مستوياتها.

واتجهت في بحثي هذا اتجاها أسلوبيا، معتمدة على المنهج النفسي الذي يعتمد على دراسة النفس العاشقة،وما يعتريها من توتر.وتنوعت بين الكتب التراثية(كتاب الذخيرة للشنتريني، نفح الطيب للمقري،...) والحداثية (ابن حزم الأندلسي، ابن حزم صورة أندلسية، السرد والاعتراف والهوية، فن السيرة،...). وما كنت لأعدد الصعوبات التي واجهتني في بحثي، لولا التقاليد الأدبية التي جرت عليها البحوث الأكاديمية لأن لذة الإبحار في تيار البحثّ،ولذة الحصول على المعلومة تنسي الدارس كّل عناء، وجملة ما أرقني في بحثي ندرة المصادر الأساسية، وخاصة مصطلح الاعتراف فهو مصطلح جديد، وجدته في كتاب واحد لعبد الله إبراهيم بعنوان " الّسرد والاعتراف والهوية" .

ومن جملة الفرضيات التي توصلنا إليها هي :

–تأثر ابن حزم بفلسفة الأوائل وخاصة الفلسفة اليونانية، فله قدرة فائقة في المزج بين الفلسفة والنصوص الإسلامية، فهو يعتمد في أصل التعريف على الفلسفة، ثم يزكيها بنصوص من القران الكريم أو الحديث الشريف،حيث تناول الفيلسوف أفلاطون فلسفة الحّب في حوار المأدبة، وهو يدور حول موضوع الحّب والعشق .

–الأخبار التي أوردها ابن حزم في المدونة، هي سيرة ذاتية تحدث فيها عن حياته بحلوها ومرّها، فهي إذًا جملة أحداث أو مذكرات أو اعترافات لإمام فقيه في القرن العاشر الميلادي.

–كان للمرتكزات النفسية والاجتماعية والسياسية أثر كبير على كتاب طوق الحمامة.

ولا يسعني في النهاية إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف الدكتور الفاضل: أحمد بقار على ما قدم وأسدى ، وأسأل الله خيرا ولجميع أساتذتي الذين لم يبخلوا عليبمعلوماتهم وتجاربهم .

فجزاهم الله عّنا خير الجزاء ، وأسأل الله أن يوفق الجميع.

فطيِمة عبد الواحد

ورقلة في : 23جانفي 2016 الموافق - 13 ربيع الثاني 1437 هـ

الفصل الأول

ابن حزم حياته وعصره

*المبحث الأول: قرطبة على أيام ابن حزم

أ. ابن حزم الأندلسي (مولده – نشأته – ثقافته – مؤلفاته) .

ب.أزمة الخلافة وآثارها.

ج. المنفى وخيبة الأمل .

*المبحث الثاني: الحبّ في الأندلس

أ. كتاب طوق الحمامة (تعريفه – أسلوبه – أهميته).

ب.المرأة من خلال طوق الحمامة .

ج. ابن حزم عالم النفس.

*تمهيد:

الأندلس كغيرها من البلاد الإسلامية، غنية بعلمائها وأدبائها الذين اتصفوا بحّب المعرفة وأسهموا في دفع الحركة الأدبية قدما، خاصة في زمن الخلافة وعصر الفتنة وملوك الطوائف، إذ كان كل ملك من أولئك الملوك يحاول أن يجعل من مملكته ملتقى للشعراء والأدباء،وقد أشار المقري في كتابه نفح الطيب إلى ذلك فقال: "ولما ثار بعد انتشار هذا النظام ملوك الطوائف، وتفرقوا في البلاد، كان في تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد إذا أنفقوا سوق العلوم، وتباروا في المثوبة على المنشور والمنظوم، فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول: "العالم الفلاني عند الملك الفلاني، والشاعر مختص بالملك الفلاني، وليس منهم إلاّ من بذل وسعه في المكارم ونبهت الأمداح من مآثره ما ليس طول الدّهر بنائم"[1]

"فكانت مجالس الأمراء تعّج بالنشاط العلمي، والملوك يتنافسون في اقتناء الكتب النفسية، كما كان للمسجد في الأندلس دور بادي، إذ انتشرت حلقات الدرس في المجالس وقصدها عدد كبير من الطلاب، فكانت الحياةالعلمية مزدهرة، بالرغم من سوء الأوضاع السياسية في ذلك الوقت "[2]

وفي هذا الجوّ من الحضارة المصقولة ، والثقافة المزدهرة ولد ابن حزم ونشأ، وتفاعل معها، غلاما يافعا، وصبيا دارسا، وشابا قلقا، ورجلا يعمل بكل ما أتيح له لكي يوقف انحدار الخلافة وتلاشيها، فمن هو ابن حزم يا ترى؟

المبحث الأول: قرطبة على أيام ابن حزم:

[1]–المقري، أحمد بن محمد المقري:**نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب**، تحقيق احسان عباس، دار صادر بيروت، دط ، 1988، ص 189 .190

[2]– خفاجي محمد عبد المنعم: **الحياة الادبية في الاندلس** ،ط 1 ، دت،ص 26 – 27.

أ. مولده ونشأته:

هو"أبو محمد،علي ابن أحمد بن سعيد،بن حزم بن غالب ،بن صالح بن خلف، بن معدان بن سفيان، بن يزيد الأندلسي القرطبي، اليزيدي، مولى الأمير يزيد بن سفيان،ولد بقرطبة (384هجري)من بلاد الأندلس بالجانب الشرقي في ربض منية المغيرة،بقصر أبيه القريب من مدينة المنصور بن أبي عامر (الزاهرة).وكانت وفاة ابن حزم سنة 456هجري إذ نفي قريته منتشليم،وقد وافته المنية بعد رحلة كفاح ونضال ونفي"!1ويقول تلميذه صاعد الطليطلي:"وكتب إلي بخّط يده أنه ولد بعد صلاة الصبح،وقبل طلوع الشمس من الأربعاء آخر يوم من شهر رمضان الموافق لليوم السابع من نوفمبر 994ميلادية،سنة أربعة وثمانين وثلاث مائة هجرية2"وتحديدا هذا التاريخ بدقة،يدل على عظمة مكانة هذه الأسرة ،واهتمامها البالغ بتحديد وتسجيل ميلاد أبنائها،ويدل أيضا على رقي الحياة وتحضرها بالأندلس .

وعاش ابن حزم مع أخيه الأكبر، في قصر أبيهما حياة رغدو ترف، و في هذا القصر نشأ وتربى،على أيدي النساء،فهّن هذبنه، وربينه،حيث قال:" لقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ،مالا يكاد يعلمه غيري ،لأني ربيت في حجورهنّ،ونشأت بين أيديهنّ،ولم أعرف غيرهّن ولا جالست الرجال، إلا وأنا في حّد الّشباب، وحين تفيّل وجهي."3 إذن المعلم الأول في حياته النساء، وتلقى العلوم المختلفة منهن فيقول: " هن علمنني القرآن وروينني كثيرا من الأشعار ودربنني على الخط، ولم يكن كّدي، منذ أول فهم، وأنا في سن الطفولة جدا إلا تعرف أسبابهّن والبحث عن أخبارهّن"4.فلم يخالط غير المربيات اللاّتي سكنّ القصر في هذه الفترة، وقد تلقى العلوم المختلفة من قرآن وحديث وشعر، وقواعد اللغة العربية ومن هنا نلاحظ تأثير المرأة في حياته، وقوة معرفته بها.فهذه المرحلة كان لها الدور الأكبر في تشكيل شخصية ابن حزم، لأنه استطاع الولوج إلى عالم النساء ومعرفة أسرارهّن، مما جعله العالم الخبير بالنساء، إذ كان يتتبع أخبارهّن ويتعرف أحوالهنّ من خلال إقامته في القصر، والنساء أيضا كن يأنسن إليه، ولا يجدن حرجا أن يفضين إليه بأحاديثه فيقول:" فلم أزل باحثا عن أخبارهنّ، كاشفا عن أسرارهّن، وكن قد أنسن مني الكتمان، فكن يطلعنني على غوامض أمورهنّ".[1] فهذه النشأة الفريدة من نوعها، ومعرفته بالمرأة عن كثب جعلته أقدر على تأليف كتاب موضوعه الحّب ورواية أخبار المحبين.

[1]– المصدر نفسه : ص68.

ثقافته:

كانت ثقافة ابن حزم موسوعية، ففي قصر أبيه حفظ أجزاء من القرآن، والحديث والشعر، ودرّب على الخّط والإملاء، فقد استطاع الجمع بين الفقه وعلومه من جهة، والأدب وأفنانه من جهة ثان، وتتلمذ على يد عدد من شيوخ الفقه والحديث والأدب، منهم:

-المحدث ابن الجسور (ت 401 ه) والقاضي أبو الوليد الفرضي الذي كان حافظا متقنا قتل في حدود (ت 400ه)، والمحدث الراوية أبو القاسم أبو الخرّاز (ت411 ه) .

-ومن شيوخه المعروفين أيضا أبو علي الحسين بن علي الفاسي، وعبد الرحمان الهمذاني، وعبد الرّحمان الكناني، وعبد الله بن جهور[1]، وغيرهم من العلماء الذين حفلت بهم كتب التراجم.

فانصرف ابن حزم لدراسة العلوم الشائعة في عصره، حتى بلغ درجة يقول فيها إحسان عباس:"من العسير أن يصور الدارس مدى ثقافة ابن حزم ،بتشعب هذه الثقافة وشمولها لجميع أنواع المعرفة في عصره".[2]

كما عرف ابن حزم بكثرة سماعه، فأجمع أكثر المؤرخين له بأنه سمع سماعا جما سواء في قرطبة أو المرية، أو بلنسية، أو شاطبة[3]

أما تلاميذه الذين أخذوا عنه: تلميذه الاول أبو عبد الله الحميدي (ت488ه)، وإبنه الفضل أبي رافع والوزير الامام أبي العربي، وعلي بن سعيد العبدري وأبو بكر الطرطوشي ، وأبو القاسم صاعد بن أحمد.[4]

من هنا يمكن القول أن ابن حزم اشتهر بعلمه الغزير، وثقافته الموسوعية، وشهد له الأعداء قبل الأصدقاء، وأحاط بعلوم عصره إحاطة شاملة، وشكلت مؤلفاته، بحق دائرة معارف القرن الخامس الهجري.

1- ينظر :جذوة المقتبس ص 273 – 275.

2- إحسان عباس :**العصر الأندلسي في عهد سيادة قرطبة**، دار الثقافة ، بيروت لبنان، ط 8 ، 1996، ص 34.

3-ينظر: الصلة لابن بشكوال ج2، ص 416.

4-إبن حزم علي:**المفاضلة بين الصحابة**، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر ،ط 2، ص 36- 37.

مؤلفاته:

يجمع المؤرخون على أن ابن حزم من أكثر أهل الإسلام تصنيفا." و يؤكد هذه الحقيقة التاريخية تلميذه (صاعد)، فقد بلغت مؤلفاته في الفقه والحديث، والأصول، والملل، و النحل، وغير ذلك من التاريخ والنسب، وكتب الأدب، والرّد على المعارضين نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة"[1]

يقول عبد الواحد المراكشي في كتابه: " إن ابن حزم كان أكثر الإسلام تصنيفا، وإنه صنف في الفقه والحديث والأصول و النحل والممل، وغير ذلك من التاريخ والكتب والرّد على المخالفين له، نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة، وهذا شيء ما علمنه لأحد ممن كان في مدة الإسلام قبله، إلاّ لابن جرير الطبري"[2]

بناء على ذلك لم يتردد "فيليب حتى" [3] في عد ابن حزم أحد الاثنين أو الثلاثة الذين يمتلكون أخصب مؤلفي الإسلام وأغزرهم مادة، لكن أغلب كتبه ومؤلفاته فقدت، ولم يصل إلا العدد القليل مما أفقد المكتبة العربية الكثير من المؤلفات القديمة.وقد تم حصر كتب ابن حزم مطبوعة، وكتبه لا تزال مخطوطة، وكتبه المفقودة،وكتبا مات ولم يتممها، وكتبا لا يوجد إلا بعضها، وكتبا وعد بتأليفها ومات قبل أن يؤلفها.

فقد اتسعت افاق فكره ،حيث درس الفلسفة ،و الاخبار ،و الانساب، واللغة الادب،وحفظ الشعر القديم والاسلامي،كما درس الحديث و حفظ الشعر.

ومن خلال تحليل إحصائي لقائمة مؤلفات ابن حزم يمكن إعطاء نسبة الكتب المطبوعة أو المخطوطة وأعدادها، الجدول رقم(1)

اسم الفرع العلمي	العدد	النسبة المئوية
عقائد	22	13,66
أصول	19	11,80
	13	11,16

[1]-ينظر: طبقات الأمم ص 102.

[2]- المراكشي عبد الواحد:**المعجب في أخبار المغرب**، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعرفة بالقاهرة، ط 1، دت ، ص 35.

[3]-فليب حتى:**العرب تاريخ موجز**،ط 4، بيروت 1968، ص 88.

فقه	1	0,62
فقه مقارنة	3	1,86
منطق	1	0,62
فلسفة علوم	8	4,96
طب	1	0,62
علم النفس	7	4,43
أخلاق	3	1,86
سياسة	2	1,24
قراءات	4	2,48
تفسير	16	9,92
حديث	2	1,24
سيرة	19	11,78
تاريخ	2	1,24
أنساب	6	3,72
أدب	13	8,06
ردود	1	0,62
إسلاميات	13	8,06
المجموع	161	100%

يستخلص من هذا الجدول،أن ابن حزم يحمل ثقافة موسوعية ،

* مزايا مؤلفات ابن حزم:

لا عجب إن قال أحد أمراء الأندلس المتأخرين ألا وهو:المنصور الموحدي ثالث خلفاء دولة الموحدين وقد مرّ على قبره ،ووقف عليه بعد وفاته بمائة عام قائلا:" كلّ العلماء عيال على ابن حزم."[1]

ويمكن إيجاز المزايا التي تعطيها مؤلفات ابن حزم بالنقاط التالية:

- تعدّد مجالات المعرفة التي طرقها ابن حزم ، فكتبه في أكثر المعارف المتصلة بالعلوم الإنسانية، ومع هذا التعدد في المجالات التي طرقها ، فإن من يقرأ له في أي مجال يظن أنه لا يحسن غير هذا العلم لمهاراته فيه فإذا هو –كذلك – يحسن كل علم تقريبا ،فهو نابغة في الحديث وفي علم الكلام وفي التاريخ وفي أصول الفقه وفي الأدب والمنطق.
- ابتكار ابن حزم لموضوعات جديدة في المعرفة لم يسبقه إليها أحد.
- كثرة مصنفات ابن حزم.
- جمعه عدة رسائل في مصنف واحد.
- كثير من رسائله كتبت نتيجة الجدل الدائر حول الأصول و الفروع الأندلس.
- كتب ابن حزم تتضمن كثير من سيرته الذاتية.
- تعكس هذه الكتب ألوانا من الحياةالأندلسيةو الإجتماعية والاقتصادية .
- تعتبر هذه المؤلفات أكبر وثيقة مفصّلة للحياة الثقافية ، والفكرية والعقائدية، التي نظمت العالم الإسلامي، والأندلسي بخاصة.

وكتاب طوق الحمامة خير دليل على ذلك ،إذ ترجم ودرس من قبل الكثيرين،كما أن هذه المؤلفات تبرهن على موسوعية ابن حزم، وعبقريته التي جعلته من أعلام الأندلس العظيم.

ب/ أزمة الخلافة وأثارها:

[1]–ينظر المقرى:**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ،ص 221.

وفي هذه الفترة مرت قرطبة بمرحلة اضطراب وفتنة، "وإذ انقضت دولة العامرين بثورة الأمويين عليهم وانتزاعهم السلطان منهم، ووقعت تحت الحصار، وأجهد هذا الحصار أهل قرطبة، وانعكس سلبا على الحياة الأدبية والفكرية في قرطبة"[1].

وقدر لابن حزم أن يجيء إلى الحياة إلى أشد لحظات الأندلس قساوة ومأساة وحتما، شهد شمس الخلافة تنحدر نحو المغيب، وقام ما استطاع لكي يبقى عليها، ورآها تتناثر وتتلاشى، وتقوم على أنقاضها دويلات صغيرة، يحكمها أمراء صغار، سوف يدخلون التاريخ تحت اسم " ملوك الطوائف". وعاصر فوضى هؤلاء الملوك وصغارهم، ورأى دولهم تنتحر في بطئ، وتسرع نحو الهاوية، وعبثا نجد جوابا لسؤال يتردد في الخاطر أحيانا ماذا لو عاش ابن حزم في غير هذه الأعوام، أو جاء قبلها بقرن، أو تأخر به القدوم بعدها بزمن؟ المؤكد أن حياته وسط هذه الأحداث شاهدا،ومشاركته فيها مؤثرا، جعلت منه قمة الفكر الإنساني، فالمحن والشدائد جبال تتسلقها النفوس القوية.

وفي أثناء هذا الحصار، مرّ ابن حزم بثلاثة أحداث متعاقبة، كان لها عميق الأثر في حياته بعد ذلك:

-مصابه الأول كان بفقدان أخيه إثر إصابته بمرض الطاعون، وزاد ألم ابن حزم بفقدان والده الوزير أحمد بن سعيد (ت 402 هـ) بعد أخيه بمدة وجيزة.

-أما المصاب الثالث فكان فقدان الحبيبة " نعم" (ت 403 هـ) فكان غيابهم أمرا محزنا وقاصما للظهر إن صحّ ا لتعبير.

وفي وسط هذه الدوّامة من الفوضى والتمزق ، خرج من قرطبة إثر دخول جند البربر إليها سنة (404هـ) فانتقل إلى المرية وكان حاكمها آنذاك (خيران العامري)، ووصلها ابن حزم رفقة صديقه أبي بكر محمد بن إسحاق، وأمضيا في البدء أياما هادئة بعيدين عن القلاقل، فالمدنية أموية الولاء، وأصبحت قبلة العامرين والأمويين الفارسين من قرطبة.1وبعد فترة انقلب (خيران) على ابن حزم واعتقله، وصاحبه محمد بن إسحاق لفترة، ثم انتقل إلى

بلنسية التي كانت تحت إمرة أمير المؤمنين المرتضى عبد الرحمان بن محمد وأقام فيها عامين، بعد ذلك كانت العودة لمدينته العزيزة قرطبة التي كانت تحت إمرة القاسم بن حمود المأمون سنة (409 هـ).[1]

[1] _الحاجري طه :**ابن حزم صورة أندلسية**، دار صادر بيروت، ط 1، دت ،ص 44 .

وبعد أن هرب ابن حزم من الأسر البربري انسحب إلى شاطبة، نفس المكان الذي تحرّك منه الجيش المرتضى، وفي شاطبة بين عامي 412هـ و 413هـ الموافق لـ 1022 هـ، فيما يحتمل حرّر كتابه طوق الحمامة وله من العمر ثمانية وعشرون سنة، استجابة لرغبة صديقه له في المرية كتب إليه يقترح عليه أن يصنف له رسالة في الحّب.

ج/ المنفى وخيبة الأمل:

"بينما قرطبة تطوي الضلوع على ثورة صمّاء، وكراهية غير محدودة لبني حمود، تحرك الخليفة المرتضى على رأس جيشه، وكان ابن حزم فيما يرجح، ضمن هذا الجيش، وقد هجم البربر بشراسة على جيش المرتضى: "...وفي هذه اللحظة تخلى عنه حيران، فتمزق الجيش ، وهرب المرتضى إلى واد آش ، وفيها اغتالته عصابة مهجورة من المرية، على حين توزع القتل والهرب و الأسر جيشه وكان ابن حزم من بين الأسرى، وطبقا لما يذكره في كتاب طوق الحمامة كان أثناء الأحداث قد تسلّل إلى قرطبة سرا في فبراير 1019 م"[2] . وبعد أن أفلت من الأسر البربري انسحب إلى شاطبة ، حيث يؤكد ذلك فيقول: " فان كتابك وردني من مدينة المرية الى مسكني بحضرة شاطبة، تذكر من حسن حالك ما يسرني، ثم لم ألبث أن اطلع علي شخصك على بعد الشقة، وثنائي الديار، وسخط المزار، وطول المسافة ، وغول الطريق"[3]كانت هذه المرحلة الأولى من حياة ابن حزم، وهي مرحلة تمتد خمسة وعشرون عاما مختلفة الأطوار، ذاق فيها ابن حزم حلو الحياة ومرها، إذ فقد أغلى الناس على قلبه من أب وأخ وحبيبة،كما رأى الحياة من خارج أسوار قصر الزاهرة.وفي هذه اللحظة أشرق ذكاء ابن حزم وضيئا، ليقنعه بأن العالم السياسي الذي ينتمي إليه، وناضل من أجله، انتهى تماما مات ولا سبيل إلى بعثه، وعندما خرج من السجن، والإحساس بالخيبة يملأ داخله، قرر بطريقة نهائية أن يتخلى عن السياسة فنبذ الوزارة، وأقبل على قراءة العلوم، وتقييد الآثار،من شريعة وفلسفة وتوحيد وتاريخ، ويرى عبد الحليم عويس[4]"أن هذه المرحلة كانت مرحلة التكوين الفكري والنفسي، وقسمها إلى قسمين: القسم الأول منهما: أخذ منه المعرفة من النساء اللّواتي في القصر.، والقسم الثاني تتلمذ فيه ابن حزم على التقلبات السياسية، والنكبات والاغتراب، على يد مجموعة كبيرة من الرجال، وقد تدرج ابن حزم من المذهب المالكي السائد،إلى المذهب الشافعي، ثم انتهى به الأمر إلى "المذهب

---

[1]– المصدر نفسه: ص159.

[2] - مكي محمد الطاهر : دراسات عن ابن حزم الأندلسي في كتابه طوق الحمامة ، دار مكتبة وهبه مصر،1993،ط4 ،ص 84.

[3]- طوق الحمامة :ص5.

3– عويس عبد الحليم: **ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري**، ط 2 ،الزهراء للإعلام العربي، القاهرة،1988،ص 65.

الظاهري."[1] يُستخلص مما سبق ،أن ابن حزم كان متأثرا بالفتنة وعميق الإحساس بالتغير الذي أحدثته الفتنة،لأنهافاجأته وهو شاب في ظلّ النعيم و حياة القصور، و أخرجته من نعمته وثرائه و وطنه، وغيرت مجرى حياته، حتى أن الناظر إلى حال ابن حزم في نشأته الأولى و حاله بعد خراب قرطبة، ليدهش بما أصاب خطّ حياته من انكسار،غير أنه لم يتخاذل للانقلاب ،و تجلّد بقوة و هو ينظر المجد الزائل، وإذا به الّشاب المترف بشخصية جديدة، قوية جبّارة، لا تعرف الضعف والتردّد، وصورة لليقظة النفسية التيأثارتها الفتنة.

*المبحث الثاني : الحبّ في الأندلس

أ- التعريف بكتاب طوق الحمامة :

" طوق الحمامة في الألفة و الألاف "يعد أدق ما كتب العرب في دراسةالحّب و مظاهره و أسبابه، و ترجم الكتاب إلى العديد من اللغات العالمية كالفرنسية و الألمانية و الانجليزية و الاسبانية ، و يحتوي الكتاب على مجموعة من أخبار المحبين و أشعارهم، و يتناول الكتاب عاطفة الحّب الإنسانية، و يشبعها دراسة وتحليلا.

وتطرح الدراسة عدة أسئلة منها :

1-هل يعّد كتاب طوق الحمامة أول مؤلف موضوعه الحبّ ؟

2-هل تأثر ابن حزم بكتابات السابقين ؟

بعد العودة للتراث العربي ، وجدنا عدة مؤلفين سبقوا ابن حزم في الحديث عن الحّب.

أشهرهم:

1. الجاحظ المتوفى سنة 255هـ في رسالة "العشق و النساء"
2. أبو بكر بن داود الأصفهاني 297هـ و له "كتاب الزهرة"
3. أبو بكر بن جعفر الخرائطي السامرائي المتوفى سنة 327هـ له كتاب "اعتلال القلوب"
4. أبو إسحاق إبراهيم بن علي تميم الحصري المتوفى سنة 413هـ و له كتاب "كتاب المصون في سر الهوى المكنون"
5. جعفر بن أحمد السراج المتوفى سنة 500هـ له كتاب "مصارع العشاق"
6. أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى 597هـ له كتاب "ذم الهوى"

[1]-المذهب الظاهري: هو مذهب يعتمد نص القرآن والسنة والاجماع ويرفض الرأي والقياس والاستحسان.

7. شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان المتوفى سنة 725هـ له كتاب "منازل الأحباب و منازه الألباب"
8. ابن سينا المتوفى سنة 428هـ له رسالة في العشق
9. أبو بكر الرازي المتوفى سنة 320هـ له "الطب الروحاني"
10. إخوان الصفا ولهم "رسالة في ماهية العشق"[1] .ولعل هذه أشهر المؤلفات التي تحدثت عن الحّب ، وقد سبقت طوق الحمامة في الحديث عن العشق وماهيته. ولعل ابن حزم تأثر بهذه المؤلفات بشكل أو بأخر لأن الأدب بطبيعته قائما على التأثير والتأثر، والأدب الأندلسي تأثر بشكل كبير بالأدب المشرقي فكما يقول ابن بسام :"إن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل المشرق يرجعون إلى أخبارهم المعتادة، رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أوطنّ،بأقصى الشام والعراق الذباب أقاموا على هذا صنما، وتلوا ذلك كتابا محكما..."[2]"كما أكثر ملوك الأندلس من اقتراح حفظ كتب بعينها ،وخصوا من يفعل ذالك بجوائز مالية، ومن الكتب التي كانت تحفظ: كتاب سيبويه ، وديوان المتنبي وكتاب الأغاني للأصفهاني، مما أدى إلى اصطباغ كثير من الفنون الأدبية في الأندلس بالصبغة المشرقية، فاستفاد الشاعر الأندلسي من الشاعر المشرقي حتى لقبوا بأسماء شعراء المشرق مثل: ابن هانئ بمتنبي الأندلس، وابن زيدون ببحتري الأندلس".[3] و بعضهم يرون أن ابن حزم تأثر بكتاب الزهرة للأصفهاني، وهو كتاب مقسم لمائة باب، كل باب يتضمن مئة بيت من الشعر، ويذكر في خمسين باب منها جهات الهوى وأحكامه وتصاريفه وأحواله، ويذكر في الخمسين الثانية أفانين الشعر.

وحجتهم على ذلك تشابه المقدمة للكتابين، فإن نظرنا نظرة سريعة في كتاب الزهرة، وجدنا المؤلف ألف كتابه بناء على طلب تقدم به أحد أصدقائه في رسالة بعث بها إليه.

[1]– لويس أنيتا غيفين: ترجمة نجم عبد الله مصطفى:**نظرية العشق عند العرب، دراسة تاريخية**، دار المعارف للطباعة والنشر تونس، ط1، 1985. ص95.

[2]– الشنتريني، إبن بسام:**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق لطفي عبد البديع– القسم الثاني– المجلد الأول، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975م. ص 185.

[3]–أحمد ضيف:**بلاغة العرب في الأندلس**، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ط2، 1998 ص 43–45.

إذ يقول:" وقد عزمت لما رأيت بك من غليان الاشتياق، وميلك تعرف أحوال العشاق أن أوجه إليك نديما يشاهد بك أحوال المتقدمين،ويحضرك أخبار الغائبين، وينشط بنشاطك ويمل بمللك."[1]

كذلك ألف ابن حزم كتابه بناء على رغبة صديقه، فيقول : "كلفتني أعزك الله ، أن أصنف لك رسالة في صفة الحّب و معانيه و أسبابه، و أعراضه، وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة "[2]

فهل يعني هذا أنه تأثر بكتاب "الزهرة" ؟. لا نرى أن هذا سبب كاف للجزم ،تأثر ابن حزم بكتاب الزهرة، فقد يكون هذا هو الأسلوب المتبع في التأليف في تلك الفترة، فالتأليف عن الحبّ في ذلك الوقت لم يكن أمرا غريبا أو مستهجنا، و الدليل على ذلك المؤلفات المذكورة، أما عن التشابه بين كتاب الزهرة و طوق الحمامة، فأسلوب التأليف و شخصية المؤلف و ثقافته هي الفيصل و الإبداع .لا يكمن في اختيار الموضوع فقط، بل في الأسلوب الذي يقدم فيه الموضوع، والقارئ لكتاب طوق الحمامة سيلاحظ شخصية ابن حزم وثقافته وسعة علمه مما يضفي خصوصية على المؤلف.

أمّا رمز الحمامة فقد يرتبط بالسّلام، منذ مشهد سفينة نوح عليه السّلام، حيث كانت الحمامة الممسكة بمنقارها، غصن الزيتون، رسول السّلام و عرفت هذه الرمزية في عصرنا، حّظا كبيرا ونجدها في سوق الإعلانات والطوابع البريدية، وأنصار السلام، أو تلك الذين يسمونهم الحمائم.

ولكن هل استخدمابن حزم الحمامة قاصدا رمز السلام؟

نرى أن ابن حزم أراد لكتابة الخلود على مر العصور، فوضعه كالطوق للحمامة، لينتقل من زمن لآخر ويرحل من مكان لآخر، مع رحيل الحمام، وبالتالي يبقى هذا المؤلف متداولا عبر العصور، وتبقى القيم والمواعظ التي بثّها ابن حزم، في مؤلفه حاضرة من خلال موضوع تميل له النفوس وترغب، ألا وهو موضوع الحبّ، فهو تشريح علمي لعاطفة الحّب يبقى كالطوق الذي يحمل العنق.

تعريفه:

[1]– الأصفهاني أبو بكر بن داود:**الزهرة**، حضارة الشرق القديم ط دار شيكاغوا، تحقيق أورنست نيكل بالاشتراك مع ابراهيم طوقان، 1932 ص 3 .

[2]–طوق الحمامة: ص 5.

- **طوق الحمامة بين الرسائل الإخوانية والأدبية:**

يبدو ابن حزم واعيا أشد الوعي بالجنس الذي يكتب فيه، وهو الرسالة لقد أعلن من مقدمة الكتاب عن ذلك، وهو يوجه الكلام لأحد أصدقائه، فصاحبه هذا ليس من محض خياله، إنما هو شخص يحضى بوجود فعلي، فإن توجيه الخطاب على الأغلب في الكتابة إلى شخص بعينه يشده، ويشعره بنوع من الصلة الوجدانية بينه وبين متلق يتصور أنه يصغي إليه، ويشاركه لحظة الكتابة تلك.حيث يقول:

"وكلفتني [1]–أعزك الله– أن أصنف لك رسالة في صفة الحّب ومعانيه وأسبابه وأعراضه، وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة لا متزيدا ولا منتقصا."

ويقسم أحمد بدوي الرسائل إلى ثلاثة أنواع "الرسائل السلطانية، والرسائل الإخوانية، والرسائل الأدبية، ولئن كان الضرب الأول كما نستشف ذلك،من تسميته يتنزل في الكتابات السياسية ،لما في هذه الرسائل من أمور الخلافة والإمارة فالولاية والبيعة وإصلاح أمور الناس...أما الرسائل الإخوانية كانت تعني بشأن أخر ... وكاد الأدباء يبثون فيها عواطفهم الشخصية" ويضيف قائلا:"...ونظرة إلى هذه الرسائل رأينا أن هناك صلة بينها وبين الشعر الغنائي، من حيث الغرض، والباعث لذلك صّح الإستشهاد في هذه الرسائل بالشّعر، بل صح أن تكون كلها شعرا"[2]

أما الرسائل الأدبية فنوع آخر يكون قريبا من فن المقال في عصرنا الحاضر، وذلك لخوضه في موضوع من موضوعات الأدبية أو الإجتماعية، شأن رسائل الجاحظ مثلا، أو رسا لةالغفران لابي العلاءالمعري، وتكون طريقة التناول في هذه الرسائل، تحمل ضروبا من البديع والبيان والمحسنات البديعية. و يضيف أحمد بدوي هذا الصنف من الرسائل قائلا:" وهذه الرسائل غالبا ماتبدأ بالحديث إلى المخاطب والدعاء له، ثم تدخل في الموضوع الذي أنشأت له الرسالة. وإذا أنت حذفت هذا البدأ بدت الرسالة مقالا سويا، ولم يعرض نقاد العرب لهذه الرسائل يتبينون منهجها أو يتحدثون عمّا ينبغي أن يكون فيها أو يستخلصون العناصر الجوهرية التي تفرق هذه الرسائل الأدبية عن غيرها "[3]

[1]– طوق الحمامة ص12،13.

[2]–أحمد بدوي:**أسس النقد الأدبي**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، دط،1996، ص 77.

[3] المرجع نفسه :ص 81.

وإن نحن سألنا كتاب طوق الحمامة لتبين في أي صنف من الرسائل، عسانا تبين لنا أنه على صلة بالرسائل الاخوانية والأدبية في نفس الوقت، ذلك أن ابن حزم بدأ رسالته الى طبيعة العلاقة بينه وبين مخاطبه، وهي كما يبدو، صداقة قديمة تبين ذلك من أسلوب التوّدد والشوق الذي استعملته في مخاطبة صديقه. "فان كتابك وردني من مدينة المرية، إلى مسكني بحضرة شاطبة تذكر من حسن حالك ما يسرني...ثم لم ألبث أن اطلع علي بشخصك وقصدتني بنفسك، على بعد الشقة وثنائي الديار وسخط المزار، وبعد المسافة وغول الطريق..."[1]. وفي ثنايا الرسالة كما في خاتمتها يبدأ في ضرب من الشكوى ، والبوح أو، الاعتراف لصديقه. هذا أمر لا يكون إلا إذا كانت عرى الصداقة وثيقة بين المرسل والمرسل إليه، يقول ابن حزم وقد أنهى من كتابة الرسالة : "والكلام في مثل هذا إنما هو مع خلاء الذرع وفراغ القلب، وإن حفظ شيء وبقاء رسم... واقتطاع مكاسب الآباء والأجداد"[2].

فالكتاب إذن يندرج ضمن الرسائل الأدبية لما توفر عليه من مقومات هذا الجنس، ذلك أن ابن حزم التزم فيه بموضوع مخصوص وهو العشق، وجمع مادته من الأخبار أساسا، وهو ما فرض عليه جهدا مضاعفا من البحث والتذكر والتبويب، باعتبار أنه أخضع مادة دراسته إلى قانون دقيق في التصنيف والترتيب، مرجعا لكل من رام دراسة موضوع الحّب دراسة كاملة.

*الأخبار وكيفية حضورها في كتاب طوق الحمامة:

يبدو معرفة الخبر مهمة صعبة، رغم شهرة هذا اللفظ وتداوله، وذلك لحضوره واستعماله في مجالات معرفية مختلفة، فهو على صلة بالدين والتاريخ والأدب ويقول محمد القاضي في كتابه الخبر في الأدب العربي:".....فإذا سعينا إلى النظر في معنى الخبر بحصره في دائرة مخصوصة، هي دائرة الأدب أمكنا القول أن

[1]- طوق الحما مة: ص11.
[2]- طوق الحمامة : ص190.

المؤلفات القديمة تجعل منه أساسا من أسس الأدب، وبعض الاستعمالات تشي بأن المقصود به كل النثر، فترد كلمة الخبر معطوفة على كلمة الشّعر"[1].

والمتأمل في هذا القول يرى أن الخبر والشّعر جنسان من أجناس للأدب، وإذا كان الشعر محددا بالوزن والقافية على الأقل، فإن الخبر يضم سائر أضرب الكلام، التي لا تتوافر، على تلك الشروط. وإن نحن تأملنا كتاب طوق الحمامة ألفينا أن الخبر يمثل تقريبا نصف المادة، التي يتكون منها كتاب طوق الحمامة في حين يمثل الشعر النصف الآخر، ذلك أن ابن حزم يلاحق الخبر بالشّعر، ويسعى في أغلب الأحوال إلى جعل الشّعر ما كان تضمنه الخبر سردا.

ولكن الأخبار في طوق الحمامة وردت وفق بنية مخصوصة، نابعة من بعض هواجس ابن حزم في تأليفه، فنجد الفيلسوف الساعي إلى محاولة الوقوف عند عوالم النفس البشرية، كأنه طبيب نفساني فيحاول أن يبين تلك الأهواء والغرائز وما يعتريها من غموض، وتغير الأحوال وتبدل الطبائع، وهذا يؤكد قول الأستاذ ليفي بروفنسال" ...هو تحليل نفسي صاغ فيه جميع معاني الخبر فعبر ،عن العاطفة في حالتي الرّي والظمأ، وعبّر عن الآمال إذا تحققت وإن أخفقت، وعند الاضطراب الذي تسوقه آلاف الظروف فتعكر صفو المحبين ، وتفرق نجواهم"[2].فالمتتبع لكيفية انتظام المادة في كتاب طوق الحمامة سيلاحظ، أن الرسالة قسمت إلى أبواب وفق منطق واحد، تولى ابن حزم شرحه في المقدمة، ثم يأتي بعد ذلك منطق داخلي وفقه رتبت الأبواب، وفي صلب هذا يظهر الخبر.فالأخبار لا تأتي على كاهلها إنما يقدم لها ابن حزم قبل ذلك بمقدمة،نظرية تتولى مهمة توضيح هذه الأخبار، وتوجيه القارئ إلى الكيفية التي وجب أن يتعامل معها، ثم يتبعها على الأغلب بأشعار .

يقول في كتابه:" والتزمت في كتابي هذا الوقوف عند حدك والاقتصار على ما رأيت أو صح عندي بنقل الثقات... ولا أتحلى بحلّي مستعار"[3].

فنلاحظ إظهار الحقيقة لصاحبه هو غاية المرام، وهدفه الأسمى، كما نلاحظ أن هذه الأخبار غير متجانسة من حيث الكم، فبعضها كان شديد الايجاز لا يتجاوز الجملة أحيانا ، يوردها دون تفصيل يذكر

[1]- القاضي محمد:**الخبر في الأدب العربي**، الدار المعرفة بيروت، ط1، 1998، ص83.

[2]- بروفنسال ليفي:**أدب الأندلس وتاريخها**، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة،دار الأميرية. القاهرة، ط1، 1951، ص10.

[3]- طو ق الحمامة : ص14.

كقوله:"وقد أحبّمن الخلفاء المهدبين والأئمة الراشدين كثير، منهم بأندلسنا عبد الرحمان بن معاوية لدعجاء، والحكم بن هشام ، وعبد الرحمان بن الحكم وشغفه بطروب أم عبد الله ابنه أشهر من الشمس،و محمد بن عبد الرحمان وامره مع غزلان....و أمّا كبار رجالهم فاكثر من ان يحصوا.

وهكذا يمضي في احصائه الى النهاية ،على هذه الوتيرة التي تمحورعاطفة الحّب حول قطب الذكورة ،فثمة دوما رجال في المقدمة ،هم موضوع الاخبار ومرجع التحليل،سواء كانوا خلفاء أو أمراء أو فقهاء. فبالاحالةعليهم تظهر علامات الحّب،وباستذكار أحوالهم تستبان أعراضه ،بينما تحتل النّساء المرتبة الثانيةأو المعطوف على ما سبق،سواء في رتبة الجملة، أو في مدارات الصّور و المشاهد والوقا ئع المروية.

وبعض هذه الأخبار طويل يمتد على صفحات، كالخبر الذي أورده ابن حزم عن عشقه لجارية أيام صباه، ويمتد ذلك من الصفحة السابعة بعد المائة ، إلى الصفحة العاشرة بعد المائة.كما يبدو أن بنية هذه الاخبار تأثرت بالمبدأ الذي ألزم به ابن حزم نفسه، في مقدمة الكتاب والمتمثل في أنه يورد في هذه الأخبار، ما شاهده وعايشه، أو ورد عن ثقة يعرفه، ولا يشك في صدقه، لذلك فان كثير من هذه الاخبار لم تكن في حاجة الى سند، فابن حزم هو الذي يرويهاباعتباره شاهدها أو عاشها كقوله " وأعرف من أتى ليودّع محبوبه يوم الفراق فوجده قد فات، فوقف على آثاره ساعة وتردّد في الموضوع الذي كان فيه ...."[1]

ولقد اقتصرنا على هذه العينات، لأنها الأبرز، ولانها تستجيب للاختيار الذي ألزم ابن حزم نفسه في ابتداء الكتاب وفي خاتمته.وانطلاقا من هذا فانّ رصيد ابن حزم كان التجربة والمشاهدة، وهو كما يبدو كثير الاصحاب، شديد الاختلاط بالّناس وبشرائح مختلفة منهم، وهذا من شأنه أن يجعله واسع التجربة والمشاهدة، كثير الاطّلا ع قادر على جمع مادة كتابه بنفسه.ولايكمن في اختيار الموضوع فقط، بل في الاسلوب الذي يقدم فيه الموضوع، والقارئ لكتاب طوق الحمامة سيلاحظ شخصية ابن حزم وثقافته وسعة علمه، مما يضفي خصوصية على المؤلف.

*أسلوب الكتاب :

عرف أسلوب ابن حزم بالسلالة والشعرية إذ يقول بعض مؤرخي ابن حزم:" أن نثره لايكاد يفترق عن شعره من حيث الجرس والموسيقى الداخلية والسلاسة والتلقائية والسهولة2"[2]ويمكن إجمال السمات الأسلوبية للكتاب

[1]–طوق الحمامة :ص 72.

2– عبد اللطيف شرارة: ابن حزم رائد الفكر العلمي لمكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت لبنان، دط، دت،ص 60،63.

بالأمور الآتية : الآتية البارزة في المؤلف كثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، فسعة ثقافته الدينية واضحة جدا وانعكست على مؤلفه،كما نجد ثقافته الفلسفية بارزة في الطوق "إذ يعتمد في التعريفات على الفلسفة ويزكيها بنصوص من القرآن، ويهتم بالعلل، والمقدمات والنتائج، فيمزح بين الفلسفة والنصوص الإسلامية مزجا بديعا ، حيث كانت مدارس قرطبة تعّج باليهود والنصارى،يدرسون علوم العقل من منطق وفلسفة،و يبّثون في أفكار المسلمين مايثير حيرتهم ،كما يوردأقوال السلف الصالح ،ليؤكد ويبرهن على صحّة ما يقول." فلو تصفحنا كتاب طوق الحمامة لوجدناه قلما يخلو من إشارات تاريخية ،إن مفكرنا الأندلسي كان يشعر شعورا واضحا بأن الحاضر ثمرة الماضي.

*أهمية الكتاب:

تكمن أهمية الكتاب في كونه يكشف عن شخصية ابن حزم من جهة، وعن الكثير من جوانب الحياة الأندلسية وأسرار الحكام والرؤساء،وما يدور في بيوتهم من جهة أخرى ،ويكشف هذا الكتاب عن الحقائق خفية حدثت في المجتمع الأندلسي في القرن الخامس الهجري ،خاصة الحياة الاجتماعية للطبقة الراقية ،كما سلّط ابن حزم الضوء على وضع المرأة في قرطبة إذ يمكن استنتاج طبيعة حياتها ووظيفتها وأبعاد الحرية التي تتمتع بها.

فمن خلال الأخبار التي رواها ابن حزم عرفنا، أن المرأة في ذلك العصر كانت صاحبة القرار في زواجها والرأي ،وهذا ينتج من موقف جارية سعيد بن منذرخلاصته، أنه أسّر أ ن يطلق سراحها فتنعم بحريتها ويتزوجها ،فطاوعته على أن يخفف من بعض لحيته ،فوافقها على ذلك، ثم دعا بعض وجهاء الناس ليشهدهم على حريتها، وزواجه منها، فلما أشهدهم على حريتها ،حتى صرخت برفض الزواج منه.كما عرف ابن حزم عن دور المرأة وأنشطتها في ذلك العصر كالماشطة والدلاّلة والمغنية والمعلمة والعاملات في النسيج وما أشبه ذلك[1].

و قد دفعت مشاركة المرأة في النشاطات الأدبية في الأندلس،الأديباتالأندلسياتإلى مخالطة الرجال وحضور مجالسهم الأدبية و الانخراط في المساجلات الشعرية، حتى إن حفصة بنت الحاج الركونية من شاعرات القرن السادس الهجري في غرناطة، كانت تسعى للعمل في وظيفة ديوانية لدى الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي ، و تدل الأخبار والحكايات الواردة عن الأندلسيينأن اختلاط النساء بالرجال في تلك المجالس لم يكن مستنكرا ،ومن أبرز الأدلة على ذلك ما تناقلته المصادر الأندلسية من أخبار ولادة بنت المستكفي ونزهون بنت القلاعي الغرناطية

[1]–طوق الحمامة : ص 47.

ومشاركتهن في مجالس الرجال الادبية.

ألف ابن حزم كتابه وفق منهجية منظّمة ،كذلك كان التبويب والتنسيق وفق منهج منظّم ،بالرغم من تغيير ترتيب بعض الأبواب عما جاءت به في المقدمة ،فجاء الكتاب بمنهجية أقرب ما تكون إلى المنهجية الحديثة حيث جعل كتابه في ثلاثين بابا ،تتبع فيها الحّب في نشأته وتطوره وأعراضه ودرجاته وأنواعه ومسعداته ومنغصاته،وتحدث في جزئياته حول العاطفة الإنسانية واعتمد في منهجيته وبحثه على:

***التجربة ، الملاحظة ، التحليل النفسي ، استخلاص النتائج.**

كما أورد ابن حزم أشعارا له في الكتاب في مواقف متباينة ،ممّا أغنى الكتاب وزاد من قيمته الأدبية ، وكأن ابن حزم أراد أن يخلد اسمه بين الناثرين والشّعراء من خلال هذا الكتاب، فلا يكاد يذكر الحبّ إلا ويذكر كتاب طوق الحمامة ومؤلفه ابن حزم ويؤكد ذلك أورتيجا أي جاسيت إذ قال عن طوق : "إن هذا الكتاب أروع ما خط عن الحّب في الحضارة الإسلامية"[1].

وقد أطلق ابن حزم اسم طوق الحمامة على كتابه وهو عنوان يحمل دلالة الرمز ، وقد اختار عنوانا رمزيا لكتابه ، ربما لجذب القارئ أو إثارة فضوله أو لأن العناوين الرمزية كانت سائدة في ذلك الوقت.

فالطوق لغة : هو حليّ يجعل في العنق، وكل شيء استدار فهو طوق ،كطوق الرّحى، والقطب ونحو ذلك والطوق واحد ،الأطواق والمطوقة : الحمامة التي في عنقها طوق،والمطوق من الحمام ،ماكان له طوق[2]

اعتمد ابن حزم على ملاحظة الواقع ،وتحليل تجارب معاصريه قد فرض عليه، أن يكون صريحا مع نفسه والآخرين.

إن من بين أهداف كتاب طوق الحمامة هو امتاع القارئ بقصص وحكايات سردها،بعد أن جمعها عن أصحاب الثقات كما يقول ، وأرادها أن تكون أدلة وشواهد مدعّمة لخلاصته واستنتاجاته، التي كانت عن دقة ملاحظة وتحليل، فاجتمعت تلك الحكايات كي تعبر عن موضوع واحد ،وهو الحبّ وقد جمع بين الحبّ كمفهوم فلسفي،وواقعي وتاريخي، من خلال حكايات سمعها وأشعار ألفها، فحلّل ذلك الحكي تحليلا سرديا واستخرج الشخصيات الفاعلة فيه ، وجعل لكل شخصية أبوابا يوضح فيها مفهومها بالنسبة للمحبّ باعتباره العنصر الفعّال في القصة وتكون كالآتي :

1- باب ماهية الحبّ.

[1]-مكي الطاهر أحمد:**دراسات عن ابن حزم في كتابه طوق الحمامة** ،ص121.

[2]- ينظر ابن منظور :**لسان العرب** ، ص 627.

2- باب علامات الحّب

3- باب التصريح بالحّب.

4- باب العناصر الدخيلة على الحّب.

5- الحديث عم يأتي بعد الوقوع في الحبّ.

6- باب ما بعد الحبّ.

7- آثار الحبّ وهي الوصل والهجر والغدر والبين والوفاء.

8- الجزاء والعقاب (التعفّف والمعصية)

_نستنتج من هذاأن مضمون طوق الحمامة عبارة عن قصة معمقة، قام ابن حزم بتفكيكها من البسيط الى المركب، ومن المجردّ الى المحسوس ،وما علينا الا استنباط العلاقات التي تربط بين مختلف هذه العوامل، ووظائفها في المسار القصصي.

ويمكن تمثيل ذلك من خلال المخّطط الآتي:

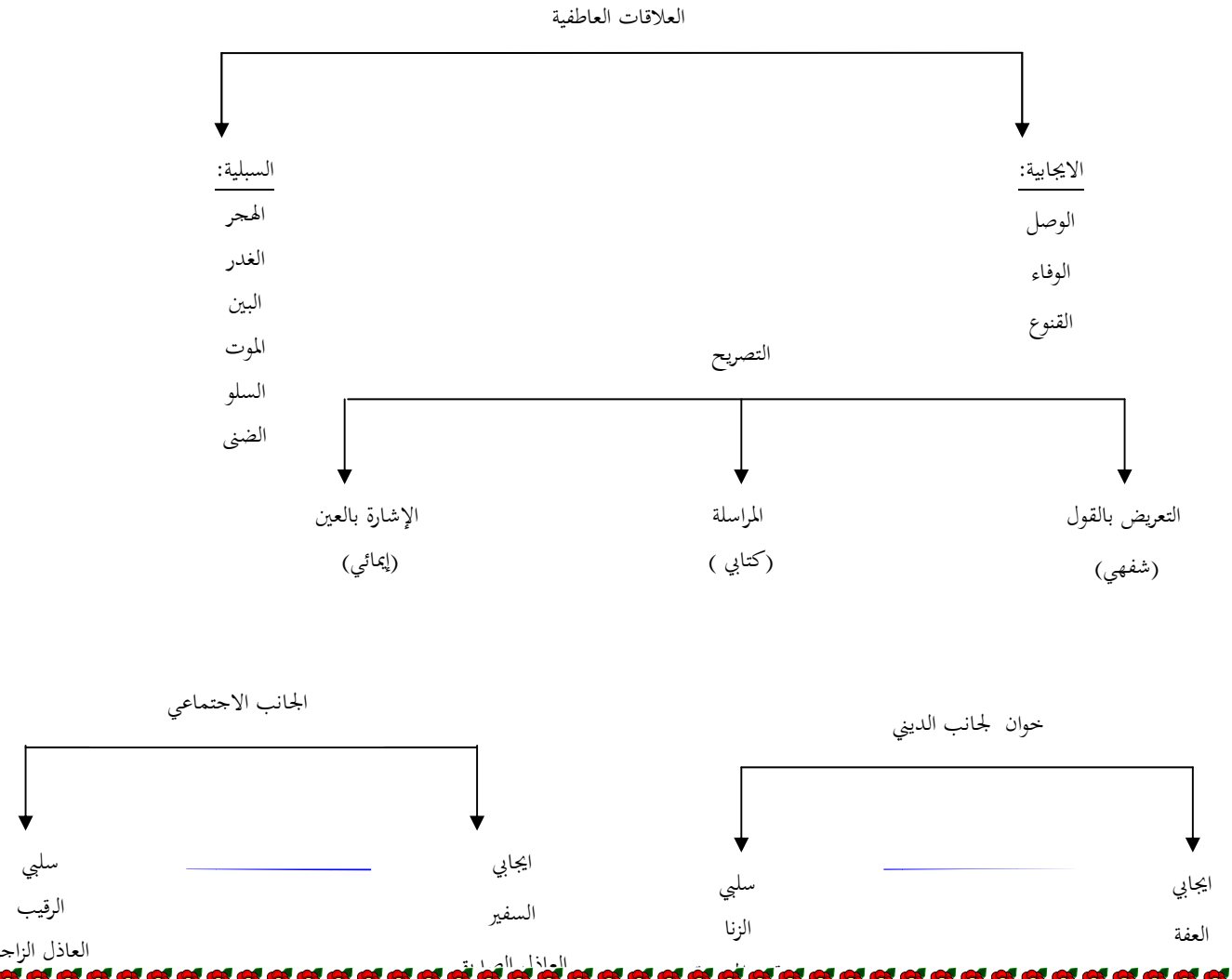

من خلال هذا المخطط نلاحظ أن العلاقات العاطفية تنقسم الى قسمين:

علاقات ايجابية وعلاقات سلبية الايجابي منها:يحمل الوفاء والوصل ، والسلبي منها : يحمل الغدر والهجر، كما يكون البوح بين المحبين بعدة وسائل منها: الشفهي (الكلام) ، الكتابي (المراسلة) ، والإيمائي (الإشارة بالعين).

وهذان المحبان يعيشان في مجتمع، يحمل القبول والرفض : فمنهم من يحاولأ ن يكون مساعدا لهذين المحبين، فتثمر العلاقة وتنتهي بزواج، ومنهم من يتملكه الحقد والحسد والكراهية، فيحاول أن يقطع هذه العلاقة بشتى الطرق، وفي نهاية المطاف يري ابن حزم أن هذه العلاقة، لا تكون ناجحة إلا اذا سلكت مسلك التعفف، والا حدث الهلاك وقبح المعصية.

*المرأة في قرطبة من خلال طوق الحمامة :

كيف وجد المسلمون المرأة في شبه جزيرة ايبيريا غداة الفتح الإسلامي؟

سؤال من الصعب الإجابة عليه ، لأننا نفتقد للوثائق التي تساعدنا على تحديد موقف المرأة ، والبناء الأسري الذي كان سائدا في المجتمع العربي والقرن الحادي عشر، الذي عاش فيه ابن حزم، جل حياته والسؤال الذي يفرض نفسه علينا هو بماذا تحدثنا نصوص طوق الحمامة عن المرأة؟

لقد عرض الباحثون كثيرا بوصفه دراسة في الحّب، وعن المحبين ولكن من وجهة نظرنا أحدلم يقف طويلا على الحياة الاجتماعية في الأندلس، وكيف كان حال وواقع المرأة في الحياة على أيام ابن حزم.

يقول ابن بشكوال في كتابه : " كانت المكتبة تسير على نظام دقيق وراق للغاية، وتضم أقساما مختلفة، أحدها للنسخ، ويعمل فيه مهرة الخطاطين، من فتيان وفتيات، واشتهرت بينهن لبنى كاتبة الخليفة نفسه، وكانت أديبة نحوية وعروضية، رائعة الخط بصيرة بالحساب، ولم يكن في قصر الخلافة أنبل منها. وتميزت بينهن أيضا فاطمة بنت زكرياء بن عبد الله الكاتب، الموف بالشبلاري، وكانت كاتبة جزلة وخطّاطة ماهرة، وعمّرت طويلا، فعاشت أربعة وتسعين عاما، كتبت فيه مئات الكتب الطوال"[1]وهذه الحقائق تدل على المكانة العظيمة التي كانت تحتلها المرأة في بلاد الأندلس خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر ميلادي ،ولا شّك أن ميل الاندلسين الى التحرّر، وانتهاز فرص العيش الرغد، و حرصهم على تحقيق الانسجام،مع ما وهبه الله للاندلس من غنى وترف ،وجمال

[1]- ينظر ابن بشكوال : الصلة ، ص 110.

في الطبيعة والمخلوقات ،كانت جميعها عوامل أدت الى شيوع الظواهر الفنية في شعر المرأة الاندلسية،و كانت أكثر بروزا في الطبقات الثرية، والمترفة منها في الطبقات الفقيرة.وعندما يتحدث ابن حزم عن المرأة في قرطبة فإنما يفعل ذلك خيرا بهنّ ، عالما بأمورهنّ ، فهو فيما يحدث عن نفسه : "شاهدت النساء ، وعلمت من أسرارهنّ ما لم يعلم غيري إلا أني ربيت في حجورهنّ ونشأت بين أيديهنّ، ولم أعرف غيرهّن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حدّ الشباب ،وحين تفيل وجهي"[1]،فقد اهتم بالبحث عن أخبارهنّ وأنسن منه الكتمان فكشفن له عن أسرارهنّ ، وأطلعنه على غوامض أمورهّن فشب يعرف عنهنّ مؤامرات النساء،وحيل الجواري، ولكنه لم يورد لنا كل ما عرف، ولم يحدثنا بكل ما سمع فأبقى على عورات، يستعاذ بالله منها في طيّ الكتمان.

كما يستخلص من هده الفقرة أّن تربية الاطفال وتعليمهم الخطّ والقران و الادب ،كان يوكل أحيانا الى النساء في الاندلس،كما يستخلص منها أيضا أن النّساء في منازل الوزراء ،كما هي الحال في جميع -بقاع الارض - كانت تقع منهنّ هفوات تلفت أنظار الاطفال، و تحملهم على الشّك وسوء الظّن،و الّفل كثير التّطلع والفضول.وأول ما نلاحظه في حديث ابن حزم أنه يقف عند نساء الطبقة العالية، أي فتيات القصر التي ينتمي إلى طبقتها، وحتى الجواري منهن يتصل حديثهن برجال هذه الطبقة ، ولم يتعرض للمرأة في الطبقة الوسطى أو الدنيا ولا نجد لديه ولا إشارة واحدة حتى ولو من بعيد.

قال ابن بشكوال : "احتلت المرأة منزلة عظيمة ونالت حظّا وافرا من التعليم، ونبغت في العلوم والآداب والفنون كثيرات ،قيل أن مئة وسبعين امرأة بضاحية قرطبة الشرقية ،كن يعملن يوميا في نقل نسخ من القرآن الكريم بالخط الكوفي ، وأن إشراق العروضية كانت تحفظ الكامل (للمبّرد) والنوادر (للقالي)."[2]يهدف كتاب طوق الحمامة إلى تحليل المشاعر العاطفية ومواقف العشاق ،ويأتي الحديث فيه عن المرأة بوصفها طرفا في القضية ،وليدعم ابن حزم آراءه أورد عددا من الوقائع الغرامية حدثت فعلا ، ولو أنه يصعب علينا أن نعرف الظروف الاجتماعية للمحبوب، وأحيانا ترد القصص طويلة فيتعذر علينا،أن نستنتج منها شيئا محدّدا ودقيقا وفي رأينا أن ابن حزم يتعمد ذلك حفاظا على أسرار الناس، واحتراما لحياتهم الشخصية، وكثيرا ما يكنى عن الأسماء لأنها : "إمّا عورة لا تستجيز كشفها وإما نحافظ في ذلك صديقا ودودا ورجلا جليلا"[3]من خلال هذا الاعتراف رأينا أن هذا الكتاب

[1]-طوق الحمامة : ص 70.

[2]- ينظر :ابن بشكوال،الصلة، ص112.

[3]- المصدر نفسه: ص 13.

طوق الحمامة، خير كتاب في وصف الحبّ وتشكيل حوادثه، وأحسن إرث في تراثنا الأدبي، حيث يثبت للنّاس أنه في ديننا من أوتي ملكة التحليل النفسي، ومن استطاع أن يفسر الحب قبل عشرة قرون.فضلا عن ذلك فان الطبيعة النفسية لموضوع الحبّ،تجعله أقرب إلى حقل علم النفس، أي أن النص كما يعلق أحد الباحثين التقى فيه الشاعر وعالم النفس، ليرسما لوحة جميلة في الحياة العاطفية على أيامه، إذا فالنص دراسة لنفسية المحبين ولمختلف المشاعر والأحاسيس التي تنتابهم ، كما أن الجانب النفسي ينسجم أيضا على كون النص مرآة لشخصية ابن حزم النفسية والأخلاقية.ومن هنا نستنتج اعترافاته الذاتية عن غرامياته ، ولم ينته في أي منهنّ إلى زواج.

* شخصية ابن حزم:

إن الإحالة على الجانب الشخصي في نص (الطوق) يشكل عنصرا أساسيا في بنية شخصيته ، ومن المؤكد أن نشأة ابن حزم ومختلف مكونات طبعه وشخصيته، في ماضيه وحاضره في أثناء انجاز النص، تؤدي دورا حاسما في بلورته وتشكيله ، ففضلا عن تميز المؤلف في مذهبه الفقهي وفي أسلوب تعامله الحاد مع العلماء والساسة ، فقد تميز في تجربته بشدة قربه من النساء وقصصهنّ وتحررهنّ أمامه في صباه.

حرّرابن حزم كتابه ولم يتجاوز الثامن والعشرين من عمره وهي سن تغلب فيها الحماسة والاندفاع والانفعال، فيجيء حصاده الفكري متسّما بالقوة والتوهّج ولكنه أقرب إلىالذاتية منه إلى الموضوعية.

يقول ابن حزم في اعترافاته : "واني لأخبرك عّي أني،ألفت في صبايا ألفة محبة، جارية نشأت في دارنا ، وكانت في ذلك الوقت ستة عشرة عاما، كانت غاية في حسن وجهها وعقلها وعفافها وطهارتها وخفرها ودماثتها، عديمة الهزل ، منيعة البذل ، بديعة البشرة ، مسبله الستر ، فقيدة الذام، قليلة الكلام، مغضوضة البصر ، شديدة الحذر ، نقية من العيوب دائمة القطوب ، حلوة الأعراض، مطبوعة الانقياض ، مليحة الصدور ، ورزينة القعود كثيرة الوقار ، مستلذة النفار ، لا توجه الأراجي نحوها ، ولا تقف المطامع عليها ، ولا معرض الأمل عليها، فوجهها جالب كل القلوب، وحالها طارد من أمها ، تزداني المنع والبخل مالا يزدان غيرها في السماحة والبذل، موقوفة على الجدّ في أمرها ، غير راغبة في اللهو على أنها كانت تحسن العود إحسانا جيدا، فجنحت اليها وأحببتها، حبا مفرطا شديدا فسعيت عامين أو نحوهما أن تحييني بكلمة فما وصلت من ذلك الى شيءالبتة".[1]

[1] طوق الحمامة: ص 138.

ونجد غراميات ابن حزم الثلاثة التي تحدث عنها كتابه تدور حول جوار في إحداها يقول : " أحببت في صبايا جارية ...."[1]، ثم يضيف : " انها نشأت في دارهم" ولكننا سوف نجد في منتصف الطريق من القصة أنها لم تنتقل معهم حين تركت أسرته منية المغير،إلى مساكنهم القديمة في بلاط مغيث ، لأسباب لم يصفح عنها فاكتفى بقوله : " ولم تنتقل بانتقالنا لأمور أوجبت ذلك"[2].

أما في القصة الثانية فيقول :"كنت أشد النّاس كلفا وأعظمهم حبا لجارية لي، كانت فيما خلا اسمها نعم... وكانت المودة بينهما كبيرة، وأنها ماتت وهو في سن العشرين وكانت هي دونه،وأفاء بعد وفاتها سبعة أشهر حزينا لا يتجرّد من ثيابة وأنه بكاها بكاء مرا."[3]

أما القصة الثالثة: "فجرت في بيت المرأة من معارفه مشهورة بالصلاح والتقوى، ومعها جارية من بعض قراباتها...من اللاّتي قد ضمّها معه النشأة في الصبا ثم غاب عنها أعواما....."[4]

إذن فالمرأة الأندلسية كانت تتمتع بقدر من الحرية لابأس بها إذ قيس الأمر بأحوال تلك الأيام، كما أن المرأة في الطبقة العليا كانت تحسن الموسيقى، وتعزف ألوانها مختلفة،وتجيد الغناء في ألحان تصنعها أو تصنع لها ومن بينهن الثريات اللاّتي تتميز أملاكهّن عن أملاك أزواجهنّ ويدرنها لحسابهنّ.

ويمكن أن نستنتج من خلال هذه القصص عدم ارتباط ابن حزم بأية واحدة منهنّ، وذلك على حسب رأينا أن هذا الفقيه الإمام كان يبحث عن الأم الأولية، أو الأم بحروف التاج كما يقال، الأم في صورتها المجرّدة الباقية الخالدة، تلك الصورة التي تعّبر عنها الأسطورة وأغاني الحّب، وأحلامنا وتخيلاتنا اللاشعورية في كمالها وخلودها وجبروتها وقدراتها التي لا حدود لها.

ومن يبين الأمور التي لاحظناها في تكوين شخصية ابن حزم هو عامل التوازن العاطفي , فسنجد أن كاتبنا الأندلسي كان يتميز بمزاج حاد وعنيف , وكان مجادلا قويا خاصة مع خصومه، لذلك اتصفت علاقاته بأهل عصره من العلماء ،والفقهاء وأهل الكلام بطابع الخصومة والصراع , نتيجة لصراحته في الحق , وصرامته في الدفاع

[1]- المصدر نفسه: ص138.
[2]-طوق الحمامة :ص 139.
[3]- طوق الحمامة: ص 116
[4]- المصدر نفسه :ص158.

عن رأيه , ولا شك أن هذه الصلابة الفكرية التي أدت إلى تشويه سمعته , حتى أشتهر به الأمر إلى أن أحرقت كتبه علانية في اشبيلية.

على أننا لو أمعنا النظر في علاقة ابن حزم مع غيره من الأشخاص، في مجتمعه الأندلسي لوجدناه يتصف بصفة الوفاء ،والاخلاص لأصدقائه وهو يصف لنا هذه الصفة فيقول :

"لقدمنحنياللهعزوجلمنالوفاءلكلمنيمّتإليّبلقيةواحدة،ووهبنيمنالمحافظةلمنيتذمّممنيولوبمحادثتهساعةحظاً،أنالهشاكروحامد ومنهمستمدومستزيد،وماشيءأثقلعليّمنالغدر،ولعمريماسمعتنفسيقّطفيالفكرةفيإضرارمنبينيوبينهأقلذمام،وإنعظمتسريرتهوكثرتإليّذنوبه،ولقددهمنيمنهذاغيرقليلفماجزيتعلىالسوءإلابالحسنى"[1]فلا شك أن وفاء ابن حزم لأصدقائه، دليل قاطع على نبل أخلاقه، وحسن عشرته وهو نفسه يصف لنا هذا الوفاء في موضع آخر فيقول : "وفاءلاتشوبهتلوّنقداستوتفيه الحضرة والمغيب ،والباطن والظاهر،تولده الألفة التي لم تعرف بها نفسي، عما ذريته ولا تتطلّع إلى عدم من صحبته"[2]

فشخصية ابن حزم تستند في الحكم على ما ورد على لسانه من اعترافات ،وما نسبه إلى نفسه من وفاء إلى جانب الصدق، وهو المؤرخ الذي رأس ماله الصدق في كتابه الروايات، وتوخي الدّقة والحذر فيما ينقل ويكتب ،وابن حزم ليحمل شدة في أكثر من موضع على صفة الكذب ،فالكذب في رأيه أصل كل رذيلة وجامع لكّل سوء فيقول : "وما أحببت كذاباً قّط ، وإني لأسامح في إخاء كلّ ذي عيب وإن كان عظيماً ، وأَكِلُ أمره إلى خالقه عز وجل ، وآخذ ما ظهر من أخلاقه حاشا من أعلمه يكذب،فهو عندي ماحٍ لكل محاسنه ، ومعف على جميع خصاله ومذهب كل ما فيه فما أرجو عنده خيرا أصلا "[3]

فهو يؤكد أيضا أن للكذب عواقب وخيمة على المجتمعات :"فماهلكتالدولولاهلكتالممالكولاسفكتالدماءظلم،ولاهتكتالأستاربغيرالنمائم،ولا أكدت البغضاء ، والإحن المردية إلا بنمائم ،لا يحظى صاحبها إلى المقت والخزي و الذّل"[4]

[1]- طوق الحمامة : ص 104-105 .
[2]- المصدر نفسه :144 .
[3]- المصدر نفسه : 76 .
[4]- المصدر نفسه : 78 .

ان تعلق ابن حزم بالصدق ونفوره من الكذب، لم تكن مجرد خصال خلقية فيه، وانما كانت طباعا متأصلة ،في شخصيته كعالم وفقيه .

ولو شئنا الآن أن نلخص أهم السمات التي تميزت بها شخصية ابن حزم لكان في وسعنا أن نقول مع المستشرق الإسباني آنجل بالنيثا:" كان ابن حزم رجلا صادقا مخلصا قويما، ذاديانة وحشمة، وسؤدد، وكان يؤمن بأن سلامة العقيدة، والشرف فوق الحياة نفسها، وكان مخلصا لأصحابه، يتفانى في سبيلهم، لذوذ في خصومه شديد الاعتداد بما أوتي من علم، وكان كريما عفيفا، وسطا في ايمانه، لا هو ساذج يقبل كل شيء، ولا هو متشدّد، لا يقبل إلا حكم العقل "[1]

د/ ابن حزم عالم النفس:

لو قرأنا بعين الاعتبار رسالة ابن حزم في كتابه طوق الحمامة، لما أدرجنا هذه الرسالة ضمن المحاولات الأولى في علم النفس، إذ نلتقي معه في كثير من الملاحظات النفسية الدقيقة، والآراء الفلسفية العميقة.

كما أشار إلى بعض ما مر به من خبرات وتجارب، ويستعيد أحكامه من تجاربه وتجارب الآخرين، دون التعرض لذكر أسماء أصحابها. كما يتكلم عن معاني الحّب وأعراضه وظواهره، وشتى آفاته، من وجهة نظر المحّب للمحبوب، في حين أن الفارق بين المحبّ والمحبوب: "كالفارق بين الطالب والمطلوب أو بين المغناطيس وقطعة الحديد التي تنجذب إليه"[2]

فنفس المحّب جاذبة له كالمغناطيس والحديد، والحركة تكون دائما من الأقوى، وابن حزم يتلاقى هنا مع الكاتب الفرنسي ستندال[3] الذي يقول من بعد "أن الرجل في الحّب مهاجم والمرأة مدافعة، والرجل يطلب، والمرأة ترفض، والرجل مخاطر بينما المرأة متخوفة"[4].

وابن حزم يفيض في الحديث عن علامات الحبّ فيبين لنا كيف أن العين هي باب النفس: "وهي المنقبة عن سرائرها، والمعبرة عن كوامنها، والمعربة عن بواطنها"[5].

---

[1]-أنجل بالنثينا :**تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة د، حسين مؤنس، دط، 1965 ، ص 216 .

[2]- طوق الحمامة: ص19.

[3]-كاتب فرنسي، (1783 – 1842) اسمه الحقيقي HENRY BELL اشتهر بتحليله الحاد لنفسيات شخصياته، ويعتبر أحد أوائل وأشهر فناني الواقعية في روايته الأحمر والأسود (le rouge et le noir)

[4]- André Maurois : **les cinq visages de l'amour** , Didier new york, 1942, chapitre III, les heroines de stendhal, p100

[5]- طوق الحمامة:ص47.

فليس غريبا أن تكون النظرة هي نقطة انطلاق الحّبّ كما يحدثنا كثيرا عمن أحبوا من نظرة واحدة، وكيف نشأت العلاقة في نفوس هؤلاء المحبين، بل قد تقع المحبة – في رأيه– بالوصف دون المعاينة، فيعشق المرء شخصا لم يره إمّا لأنه سمع عنه من الأخبار ما حّبه إلى نفسه، وإمّا أن خياله صوّر له ذلك الشخص بصورة المعشوق الأسمى كمالا وجمالا، وذلك {في باب من أحبّ بالوصف، من أحبّ من نظرة واحدة }

وهو يعلم أن للخيال دورا كبيرا في نشأة الحبّ، فهو يحدثنا عن محبين شغلوا أنفسهم بغير حقيقة، وتعلقت أوهامهم بمعدوم، متعجبا كيف يحب المرء: "من لم يره قّط ولا خلق ولا هو في الدنيا"[1]

ولكنه يعود ويفسر لنا هذا النوع من الحبّ فيقول: "إن الذي أفرغ ذهنه في هوى من لم يره ،لابد أن يخلو بفكره، أن يمثل لنفسه، صورة يتوهمها يقيمها نصب بصره"[2]

وكما حدثنا عن الحّب الذي نشأ من الخيال والوصف، والحبّ الذي ينشأ من نظرة واحدة، نجده أيضا يحدثنا عن الحّب الذي يتكون ببطء، تحت عنوان: "باب من لا يحّب إلا مع المطاولة".

وابن حزم هنا يكشف عن عقيلة سيكولوجية، لأنه يربط الحّبّ بالزمان، ويقيم العاطفة على تعدد التجارب وارتباطها بموضوع واحد. يبين لنا كيف أن للاستقرار النفسي دورا هاما في تأصيل عاطفة الحّب ودوامها، وهذا يدل على خبرته الخاصة التي تثبت له أن العشق السريع هو أقرب إلى الشهوة منه إلى الحبّ، في حين أن العاطفة البطيئة التي تتكون على مرّ الأيام، لابد أن تدوم وتثبت، على العكس من المغامرة الغرامية الخاطفة.

ويقول في ذلك بصريح العبارة: "وإني لا أطيل العجب من كل من يدّعي أنه يحب من نظرة واحدة، ولا أكاد أصدقه ولا أجعل حّبه إلا ضربا من الشهوة"[3]

كما يحدثنا في كتابه في باب من أحّب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها، فيكاد ينصّ على ما اصطلح عليه علماء التحليل النفسي، اليوم على تسميته باسم، التثبيت FIXATION[4]، وهو عبارة عن ارتباط المرء في صباه بشخص أو شيء ارتباطا وثيقا، بحيث يدوم هذا الارتباط، حتى بعد انتقاله إلى مرحلة النضج النفسي أو

---

[1]– المصدر نفسه : ص34.

[2]– طوق الحمامة:ص36.

[3]–– المصدر نفسه:ص38.

[4]– التثبيت: هو المفهوم الذي أورده فرويد في نظرية التحليل النفسي، ونعني به أن الطاقة النفسية تظل مهتمة باشباع حاجات مرحلة معينة من مراحل النمو النفسي أو الجنسي، بالرغم من أن الطفل قد انتقل من مرحلة تاليه من مراحل النمو– **معجم مصطلحات الطب النفسي**: إعداد لطفي الشربيني، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 2000، ص 131.

البلوغ العاطفي، وفي ذلك يقول: "وأعرف من كان أول علاقته بجارية مائلة إلى القصر، فما أحّب طويلة بعد هذا، وأعرف أيضا من هوى جارية في فمها فوه لطيف، فقد كان يتقّذر كل فّم صغير"[1]

وابن حزم هنا يتلاقى مع ستندال الذي سيقول من بعد بفكرة التبلور[2] فيروي لنا كيف أن خيال المحّب يخلع على المحبوب كل ما يهواه من ضروب الكمال، وكيف أن أوهام المحّب هي التي تجيء وتضفي على المحبوب من الصفات ما يجعل منها جوهرة نادرة.

وابن حزم أيضا يتفق مع ستندال أن عملية التبلور، أسرع عند النّساء منها عند الرجال، لأن: "حبّ النّساء في هذا أثبت من حّب الرجال، لضعفهنّ، وسرعة إجابة طبائعهنّ إلى هذا الشأن"[3]

وحينما يتحدث علماء النفس عن "الشخصية" فإنهم يعنون بها في العادة مجموع الصفات الجسمانية، والوجدانية والعقلية والخلقية ،على نحو ما تتفاعل وتتكامل في شخص معين ،يحيا في بيئة اجتماعية معينة، وعلى الرغم من اختلاف علماء النفس في فهم دور كل من الوراثة ،والبيئة في تكوين الشخصية، وثمة ثلاث مقومات رئيسية تدخل في بناء الشخصية ألا وهي. عامل الذكاء أو المقدرة العقلية ، وعامل الاتزان العاطفي وعامل البعد الاجتماعي للفرد ، سواء أكان ذلك بالانطواء أو الانبساط"[4]

ولئن كان ابن حزم – لحسن الحظ – قد زودنا بكثير من المعلومات الدقيقة عن طفولته ، ونوع التربية التي تلقاها والطابع العام للبيئة التي نشأ فيها، وقد أجمع كل مؤرخي سيرة ابن حزم على أنه يتمتع بذاكرة قوية وبديهة حاضرة ،كما اعترفوا له بسعة المعرفة ،فلم يكن شخصا عاديا في اطلاعه واستيعابه ، وإنما كان شخصية فذة في مقدرته على الفهم والتعلّم والتحصيل . فاذا كانت قوة الملاحظة

من مظاهر الذكاء ،أو القدرة العقلية بصفة عامة، فليس بدعا أن نجد لدى ابن حزم مقدرة هائلة على الملاحظة ،وحرصا بالغا على الكشف عن الأسباب،كما كان يدرس وإنما يحاول دائما الوقوف على الأسباب. كما كان يدرس أيضا شتى البواعث النفسية للمحبين ووصف عوارضهم وآفاتهم كما كان ينظر إلى أفعالهم وشتى مظاهر سلوكهم.

---

[1]– طوق الحمامة : ص42.

[2]– les heroines de stendhal, p98

[3]– طوق الحمامة : ص34

[4]– عبد الرحمان العيسوي:**علم النفس** ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، دط، 2000، ص 147 – 148

ففي باب علامات الحّب يقول : " انك لتجد المحبين إذا تكافيا في المحبة وتأكدت بينهما،تأكدا شديدا كثر تهاجرهما بغير معنى ، وتضادهما في القول تعمدا ، وخروج بعضهما على بعض في كل يسير من الأمور ، وتتبع كل واحد منهما لفظة تقع من صاحبه ...فانك ترى المحبين قد بلغا الغاية من الاختلاف الذي لا تقدره بصلح عند الساكن النفس ، الساري من الأحقاد ... فلا تلبث أن تراهما قد عادا إلىأجمل الصحبة وأهدرت المعاتبة ، وسقط الخلاف،وانصرفا في ذلك الحين بعينه إلى المضاحكة ،والمداعبة وهكذا في الوقت الواحد مرارا ... " [1]

ومن خلال هذا التعريف لعلامات الحبّ لاحظ ابن حزم نوع من الازدواج العاطفي ،لدى المحبين يقوم على تكافؤ الضدين "ambivalence" فنراه يصف لنا هذه الظاهرة مما يدل على أنه قد فطن إلىأنكل حّب إنمايخفي وراءه كراهية في اللاشعور .[2]ويدخل في هذا الباب أيضا ما لاحظه ابن حزم من أن سلوك المرأة يختلف كل الاختلاف عن سلوكها العادي ،حينما توجد في مجتمع مختلط به رجال ونساء ، فانها عندئذ تتكلّف وتتصّنع، وتلعب دور المرأة الساحرة التي تكون مراقبة ومنظورة ، وهذا ما عبّر عنه بقوله : " وشيء أصفه لك تراه عينا ، وهو أني ما رأيت قطّ امرأة في مكان ، تحّس أن رجلا يراها أو يسمع حسّها ،وأحدثت حركة فاضلة كانت عنه بمعزل ، وأتت بكلام زائد كانت في غنية ، مخالفين لكلامها وحركتها قبل ذلك، ورأيت التّهم لمخارج رفضها ،وهيئة تقلبها لائحا فيها، ظاهرا عليها لا خفاء به.والرّجال كذلك إذا أحسوا بالنساء ، وأما إظهار الزينة وترتيب المشي، وإيقاع المزح عند حضور المرأة مع الرجل، واجتياز الرجل بالمرأة فهذا أظهر من الشمس في كل مكان"[3]

وليس أدل على استقلال ابن حزم في تفكيره مما قاله هو نفسه في مقدمة كتابه " طوق الحمامة " : " والتزمت في كتابي هذا الوقوف عند حدك، والاقتصار على ما رأيت، أو صحّ عندي بنقل الثقات , ودعني منأخبار الأعراب والمتقدمين فسبيلهم غير سبيلنا , وقد كثرت الأخبار عنهم , وما مذهبي أن أنظي مطية سواي , ولا أتحلى بحليّ مستعار " 4

ولم يكن هذا الاستقلال الفكري مجرد تعبير عن رغبة ابن حزم في مخالفة السابقين , وإنما كانت نتيجة طبيعية لتلك العقلية المتفتحة التي كان يتمتع بها , وألقت في مختلف العلوم والملل ،فهو لا يفتخر، ولا يتباهى بعمله فيصرح

[1]–طوق الحمامة :ص 26.

[2]–اللاشعور : هو صفة الفرد الذي لا يعرف الاحداث النفسية والفيزولوجية هذه الحالة هي مؤقته عند الانسان الطبيعي ، معظم الوقائع اللاشعورية يمكن أن تصبح شعورية حسب الحاجة اليها

[3]–طوق الحمامة:ص 156.

[4]–المصدر نفسه: ص14 .

ويقول: " ولا أتحلى بحلي مستعار" وفي كتابه الأخلاق والسير في مداواة النفوس يدعم لكلاحيثيقول :" وإن أعجبت بعملك , فاعلم أنه لا خصلة لك فيه , وأنه موهبة من الله مجرّدة وهبك إياها ربك تعالى , فلا تقابلها بما سيحطه فعله ،ينسبك ذلك بعلة يمنحك بها،تولد عليك سيّان ما علمت وحفظت "1

وواضح من هذا الكلام أن ابن حزم كان يؤمن بأن مواهب الإنسان العقلية،هي عطايا إلهية أو منح ربانية , فليس للإنسان أن يفتخر بها ،و أن ينسب لنفسه الفضل فيها .

ابن حزم الأندلسي :**الأخلاق والسير في مداوة النفوس** , منشورات دار الآفاق , بيروت,ط1, 1978 , ص50-51

* خلاصة الفصل الأول:

يعّد ابن حزم الأندلسي دّرة في تاريخ الأندلس السياسي والفكري والأدبي، وقد عاش حياة مليئة بالمحن والمصائب قضاها مناضلا بفكره وقلمه، أكثر من أربعين عاما، فهذه الظروف التي عاشها متغربا جعلته يعتصر ليتذكر أيام أفراح ويستعرض ذكرياته في كتابه طوق الحمامة، الذي يحتوي على رؤى جريئة تقول ما تعتقد وتعبّر عمّا تحّس .فحياة الترف ألهمته رقة المزاج و غمرته بالمشاعر والمحافظة و الخلق الكريم، كما كان للرعاية الأنثوية الواسعة، التي أكسبته خبرة بأحوال النساء وإبراز نفوسهنّ،أتاحت له الفرصة لكي يعيش التجارب العاطفية، وقصص الغرام، كما اطّلع على العديد من أحوال العشاق،فجعلته يبحث عن فلسفة الحّب . ولكن المفكر الأندلسي الكبير الذي رأيناه حربا عنوانا على خصومه ، وسيفا متسلطا في مهاجمة أعدائه هو بعينه،الأديب الشاعر الرقيق، الذي وصف لنا الحب والمحبين بأجمل عبارة ،وحلل لنا دوافع العشق وآفاته أعمق تحليل، ولا بدّ أن يكون القارئ قد لاحظ معنا كيف أن ذلك الفقيه ، الورع ،المتدين، لم يكتب في الحّب كتابة الشاعر ،بل هو قد كتب بمثابة العالم النفساني ،المدقّق مع ذلك فإنه لم يسلم من ألسن النقاد وتجريح الخصوم.

والحقّ أن ابن حزم حين كشف الحّب فأنه لم ينس أن يتخذ من هذه الدراسة ،للحثّ على الفضيلة والدعوة إلى العفة ،والابتعاد عن قبح المعصية ،و هنا قد أضاف إلى تحليله النفسية ،نصائح أخلاقية قيمة،توجّ بها رسالته الجميلة في الحّب .

الفصل الثاني

مضمون الاعتراف

✓ **المبحث الأول: السيرة الذاتية وأدب الاعتراف**

أ. تعريف السيرة الذاتية.

ب. تعريف أدب الاعتراف.

✓ **المبحث الثاني : ابن حزم رائد أدب الاعتراف**

أ. أدب الاعتراف وعلاقته بالمنفى.

ب. تجسيد الاعتراف في كتاب طوق الحمامة.

المبحث الأول:

أ. تعريف السيرة الذاتية:

تعدّ السيرة الأدبية فنا متميزا ينتمي الى الفنون السردية، على مستوى الشكل والبناء ،وتمثل السيرة في الأدب العربي ،غنى في الجوانب النفسية الحية ،فهي صورة صادقة للتجربة الإنسانية، على اختلاف زمانها ومكانها وهي مصدر فني من مصادر المعرفة والمتعة، المتعة في الاطلاع على أغوار النفس البشرية وأسرارها وصراعها في الحياة.

فما مفهوم السيرة في اللغة والاصطلاح؟

استعملت لفظة السيرة في القرآن الكريم، قوله تعالى (سنعيدها سيرتها الأولى)[1]

لغة: سار بهم سيرة حسنة والسيرة الهيئة وسيرة السيرة حدث أحاديث الأوائل[2]

كما أن السير هي جمع السيرة وهي الطريقة سواء كانت خيرا أو شرا يقال فلان محمود السيرة فلان مذموم السيرة[3].

أما في المعجم المفصل فهي سيرة الحياة أو ترجمة الحياة وهي عبارة عن ترجمة أحد الأعلام[4]

اصطلاحا:

أما السيرة في الاصطلاح ما هي إلا قصة قديمة، تتداخل فيها الحقيقة والخيال، تتأرجح بين الأسطورة والتاريخ، وما هي إلا قصة طويلة، تتطلب من الدارسين البحث الدائم والتنقيب المستمر، ينبثق منها كل ما هو مدفون فيها من واقع جديد وقيم عريقة . السيرة هي نوع أدبي يعرف بحياة علم، أو مجموعة من الأعلام ،أو هي السرد المتابع لدورة حياة شخص ،وذكر وقائع التي جرت له أثناء مراحل هذه الحياة .

أمّا صبري مسلم حمادي فيعرفها على أنها "تاريخ حياة أي (Biographie) أو بعبارة أخرى إنها حياة إنسان

---

[1]- سورة طه: الآية 20.

[2]- الفيروز آبادي مجد الدين بن محمد بن يعقوب : **القاموس المحيط،دار الكتب العلمية** ، بيروت، ط2 ،1972،ص0 87.

[3]- ابن منظور:**لسان العرب**، دار الجيل بيروت لبنان ط1 ، 1997، ص378،مادةسار.

[4]- التنوجي محمد:**المعجم المفصّل في الأدب**، ج1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط 2 ،1999، ص536.

منذ ولد، إلى أن مات ،وإنسان عظيم تستحق حياته التسجيل بنوع خاص، أو إنسان تنفرد حياته بسمات تستحق التسجيل على سائر الناس".[1]

وتنقسم السيرة إلى نوعين اعتمادا على كاتبها، فهي إما سيرة ذاتية وإما سيرة غيرية.

"ومن مقتضيات السيرة التمحيص الدقيق، والأمانة الموضوعية وعدم تسخير الأحكام، وملابسات الحياة لعاطفة الكاتب،لأن العاطفة تحمل السيرة على الانحراف عن وضعها الطبيعي،فهذا الأمر يتطلب الدقة في التحقيق العلمي ورهافة في الحّس وخيالا محدود"[2]

ومن هذا نستنتج أن التعريف الجامع للسيرة الذاتية، ضرب من المحال ومرجع ذلك طبعة هذا النوع الأدبي، الذي يعرف فيه المؤلف (صاحب السيرة) لحياته الواقعية في أسلوب أدبي، وفي صورة متعددة ،قد يتخذ الشكل الروائي أو الشكل المقالي أو الاعترافات أو المذكرات أو الذكريات...إلخ

وللسيرة الذاتية غاية يهدف صاحبها من وراء كتابتها، قد تكون توكيدا للذات ،أو تنفيسا عن انفعالات ومكبوتات ، أو حالة نفسية ألمت به، أو دفاعا عن قضية فكرية أو اجتماعية آمن بها.

ولا غرابة في أن تختلف التعريفات لدى الدارسين وإن اتفقوا في إقرارهم للسمات العامة للجنس الأدبي.

ففي دائرة المعارف البريطانية السيرة الذاتية هي المؤلف الروائي الذي يسجل بصورة واعية، وبطبيعة فنية الحدث.ويعرفها فليب لوجون Philipe le jeune بقوله :"هي سرد إستعاري نثري، يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص ،وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصه."[3]

ويعرفها فايبرو "بأن السيرة الذاتية هي عمل أدبي وقد يكون رواية أو قصيدة أو مقالة فلسفية يعرض فيه المؤلف أفكاره ،ويصور إحساسه ،بشكل ضمني أو صريح"[4]

ويعرفها محمد عبد الغني حسن بقوله: "التراجم هي ذلك النوع من الأنواع الأدبية، التي تتناول التعريف بحياة رجل...تعريف يطول أو يقصر أو يتعمق أو يبدو على السطح ،تبعا لحالة العصر الذي كتب فيه الترجمة وتبعا

---

[1]- حمادي صبري مسلم:**أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط 1 ،،1980 ،ص63.

[2]- السعافين إبراهيم وآخرون: **أ ساليب التعبير الأدبي**،دار الشروق، عمان الأردن ،دط ،1997،ص.194.

[3]- ص31« Durnelles New English Encyclopedia « Biography

[4]-**السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ**، ترجمة عمر حلي لكتاب لوجون la pacte autobiographe دار المعارف: بيروت ،ط1، 1964 ، ص24.

لثقافة المترجم، أي صاحب الترجمة ،ومدى قدرته على رسم صورة كلية واضحة من مجموع المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه".[1]

وعند الدكتور محمد يوسف نجم: "هذا النوع يقوم على وحدة الحياة، لا وحدة الحادثة ،أو وحدة العمل القصصي أو، وحدة التأثير"[2]

ولعل أقرب التعريفات لهذا الجنس الأدبي، تعريف الكاتب يحي إبراهيم عبد الدائم في قوله:"الترجمة الذاتية الفنية هي التي يصوغها صاحبها، في صورة مترابطة، على أساس أدبي قادر، على أن ينتقل إلينا محتوى وافيا، كافيا عن تاريخه الشخصي، على نحو موجز، حافل بالتجارب والخبرات المنوعة الخصبة، وهذا الأسلوب يقوم على جمال العرض، وحسن التقسيم، وعذوبة العبارات، وحلاوة النص الأدبي"[3] .

نستنتج أن السيرة عبارة عن عمل أدبي ولدته الظروف الاجتماعية، فيقدم صاحبها بالكتابة عن نفسه ،فيروي نوعا من القصص معتمدا على المذكرات،و الغاية من كتابة السيرة هي نقل التجارب للاخرين،فتوضح موقف الفرد من المجتمع،كما تريحه نفسيا لأنها تستند الى الاعتراف.

*تعريف الاعتراف:

الاعتراف لغة واصطلاحا:

الاعتراف لغة:(عَرَفَ، مَعْرفة وعرفانا وعرفة علمه: أدركه يتفكر وتدبر)

(اعترف بذنبه:أقر وعرفه له: وصف نفسه بصفة يحقق نفسه بها: طلب أن يعرف)

ومن هنا نستنتج أن الاعتراف هو الإقرار بالذنب أو الشيء[4]

قال الله تعالى: (فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير)[5]

وفي القاموس المحيط: (اعترفوا به: أقر وفلانا عن خبر ليعرفه والشيء عرفه وذل وإنقاذ)[6]

---

[1]- حسن محمد عبد الغني:**التراجم والسير**، دار المعارف مصر، دط ،1969،ص08

[2]- نجم محمد يوسف:**فن القصة**، دار بيروت للطباعة والنشر،دط، 1955 ،ص30.

[3]- الدائم يحي عبد الله ابراهيم:**فن القصة**، دار بيروت للطباعة والنشر، دط ،دت، ص10

[4]- أحمد رضا:**معجم متن اللغة**، المجلد الرابع،منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان،دط، 1960، ص77.

[5]- **سورة الملك أية 11**.

[6]- ينظر :الفيروز أبادي ، **القاموس المحيط**، ص852.

و باللغة الفرنسية كلمة (الإعتراف) كالآتي:

La confession : déclaration de ses pêchés .

SE confesser : déclarer ses pêchés au prêtre dans le sacrement , de la pénitence, avouer, reconnaitre. [1]

نستنتج من هذا التعريف أن مصطلح الاعتراف هو مصطلح كنسي ديني، وأدب السيرة باركته الكنيسة في القرن 18 باعتباره مادة للاعتراف.

اصطلاحا:

مصدر اعترف إلى / اعترف بـ.

(القانون) إقرار المدعي عليه او المتهم صراحة أو ضمنا، بصحة الوقائع المنسوبة إليه أو المطلوبة منه، كان اعتراف الجاني مفاجئة للمحكمة.

الاعتراف سيد الأدلة: اعتراف الجاني بجريمته أقوى دليل.

الاعتراف بالواقع: (السياسة) اعتراف حكومة بحكومة ناشئة اعترافا مؤقتا بالأمر الواقع، دون أن ينشأ عنه تبادل التمثيل بين الدولتين.[2]

ب. تعريف أدب الاعتراف:

يعتبر أدب الاعتراف نوع من أنواع السيرة الذاتية والرواية القائمة على قاعدة التجربة الذاتية.

يقول الدكتور عبد الله إبراهيم :" أدب الاعتراف هو على ارتباط وثيق بالهوية المتحولة فردية ،كانت أم جماعية، والكاتب الذي يعده الناقد صيرورة من التحولات،. لا يمكن انتزاعه من الحاضنة الاجتماعية ،والثقافية ومن الخطأ انتقاء لحظة عابرة والتركيز عليها ،بعيدا عن سياقها الشامل".[3]

---

[1] **La rousse** édition Martin back et Laurence Laporte ; paris 2000 page 135.

[2] – معجم المعاني الجامع:مؤسسة الكويت للتقدم العلمي،دط ،2002،ص450.

[3] – إبراهيم عبد الله:**السرد والاعتراف والهوية**، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص21 .

فكتاب طوق الحمامة هو كتاب حب وسيرة،وذكريات واعترافات شخصية،لفقيه ومتكلم ،شأ حياة ترف ورغد، ثم توالت ضربات الدهر عليه،فانقلبت حياته رأسا على عقب.

فابن حزم الأندلسي ما هو إلا كاتب، عاش أوضاعا اجتماعية في الأندلس ، فنرى كافة الإشكاليات المثارة في مجتمعه موجودة في مدونته السردية (طوق الحمامة).

كما يربط عبد الله إبراهيم في كتابه المذكور آنفا علاقة أدب الاعتراف بالمنفى في فصل عنوانه النفي والعودة المستحيلة) حيث يقول:" تشكل قضية تخيل الأوطان والأمكنة الأولى، ومنها المدن وما يتصل بذلك من حنين وشقاء، البؤرة المركزية لأدب المنفى، فثمة تزاحم بين الأوطان والمنفى في التخيلات السردية التي يكتبها المنفيون"[1] ويعرف المنفي فيقول:"يعرف المنفي بأنه الإنسان المنشطر بين حالتين من الحنين الهوسي (نوستالجيا) وهو المكان الأوليرجع إلى اللغة اليونانية، إذ تشير إلى الألم الذي يعانيه المريض، إثر حنينه للعودة لبيته، وخوفه من عدم تمكنه من ذلك للأبد، ثم وصفها على أنها حالة مرضية أو شكل من أشكال الاكتئاب، في بدايات، الحقبة الحديثة، ثم أصبحت بعد ذلك، موضوع ذات أهمية بالغة في فترة الرومانتيكية."[2] في الغالب النوستالجياهي حب شديد للعصور الماضية بشخصيتها وأحداثها، كما تصف أيضا الحنين للوطن إن كان المغترب في بلد غير بلده.

"....فعدم القدرة على اتخاذ القرار بالعودة إليه ،يتنج عن هذا الوضع إحساسا بالشقاء،لا يدركه إلا المنفيون الذين فارقوا أوطانهم ومكثوا طويلا بعيدا عنها"[3]

فهل يمكن تطبيق هذا الرأي على ابن حزم الأندلسي ،الذي عاش المنفى وخيبة الأمل والتقلبات السياسية، في الأندلس.فالحنين إلى أيام السعادة والهناء ،ظاهرة في كتابه حين يقول:"و حنيني إلى كل عهد تقدم ليغصّني بالإطعام، ويشرقني بالماء، وما مللت شيء رغبة الاستبدال، إلى سبب من أسبابي مذ كنت ، لا أقول في الألاف والإخوان وحدهم، لكن في كل ما يستعمله الإنسان من ملموس، ومركوب، و مطعوم، وما انتفعت بعيش ولا فارقني الإطراق والانغلاق، مذ ذقت طعم فراق الأحبة، وانّه لشجى يعتادني،وولوع هم ما ينفّك يطرقني، ولقد نغّص تذكري ما مضى كل عيش أستأنفه،وأني لثقيل الهموم في عداد الأحياء،ودفين الأسى بيناً هل الدنيا1"

[1]- المرجع نفسه :ص25.

[2]- **المعجم الطبي الموحد**: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 2002، ص 120.

[3]- ينظر: السرد والاعتراف والهوية ص26.27

مع ما عناه لم ينعم بطراوة العيش،بل كانت مع النعيم غيابات السّجن ،والام الاغتراب، فالتغريب والسّجن والاضطهاد،قد ضيقا عليهمكاسب الاباء وذهبا بالطارف والتالد.

"فالمنفيون اقتلعوا من جذورهم الأصلية، وأخفقوا في مدّ جذورهم في الأمكنة البديلة، فخّيم عليهم وجوه الاغتراب ،والشعور المريع بالحس التراجيدي، لمصادرهم الشخصية إذ أعطيت أعماقهم،. جزء ذلك التمزق والتصدع، وقد دفع الحنين إلى المكان الأول رغبة عارمة، لاستدعاء الذكريات الممزوجة بالتخيلات"2

فابن حزم يشعر بالألم والتحسر عندما يتذكر أيام الفرح والسعادة ،فقد ذهبت روحه إلى الحنين والشوق لفراق الأحبة والإخوان، "فالمنفي قد أفتقد بوصلته الموجهة يستعيد مكانا على سبيل الافتراض ليجعل منه مركزا لذاته ومحور لوجوده فيلوذ بالوهم بحثا عن توازن مفقود"، ويتابع فيقول :"إن المنفي يكرس شعورا من عدم الانتماء فالمنفى ليس مكانا غريبا فحسب ،إنما هو مكان يتعذر فيه، ممارسة الانتماء لأنه طارئ ومخرّب."3

وهذا الكلام نراه في الخاتمة رسالة ابن حزم حيث يصرح فيقول :" فأنت تعلم أن ذهني متقلب ,وبالي مهّصر.ما نحن فيه من نبق الديار، والجلاء عن الأوطان , وتغير الزمان ,ونكبات السلطان , وتغير الإخوان وفساد الأحوال، وتبدل الأيام، وذهاب الوفر والخروج عن الطارف والتالد,واقتطاع مكاسب الآباء والأجداد والغربة في البلاد، وذهاب المال والجاه والفكر، في صيانة الأهل والولد، واليأس عن الرجوع إلى موضع الأهل.4

تبين من خلال ذلك علاقة الاعتراف بالمنفى ،فابن حزم يستدعي الذكريات عندما يكتب عن الحّب، لأنه عاش هذه الثنائية الأليمة الحرب والحّب،هذا التناقض الحاد الذي ظل طوال حياته يعاني منه الكثيرّدون أن يصل إلى حالة الاستقرار ،فهو الإنسان المنشطر بين الحنين إلى المكان الأول، وعدم القدرة على العودة إليه ويمكن تمثيل ذلك:

مقابلة

المجتمع المثالي(الحّب الوفاء والوصال)المجتمع العادي (الأنانية الحرب والغدر)

هذه هي حال الاندلس في عصر ابن حزم ،ملك قوي أ ولا لم يذقه الاّ في نعومة أظفاره ،ثم اظطراب وفتن عكّرت صفو شبابهثانيا،ثم انقسام وانتثار للعقد،و خضوع لاعداء الاسلام.

***تستنتج من هذه التعريفات عدة نقاط منها :**

إن الكاتب يعالج بشكل منظم جميع مظاهر علاقات الحبّ،معتمدا كثيرا على تجاربه الخاصة، وتجارب آخرين عرفهم،فكتاب طوق الحمامة يتفتح على جوانب كثيرة منها التاريخي النفسي، الديني، الاجتماعي، السيري، إلا أن مركز انجاز النص يبقى موضوع الحّب في قوله:"انما قصد نا التكلم فيها رغبة أمر الحّب فقط"[1]

فالنشأة المتميزة لابن حزم منحت القارئ فرصة لاستغلال جرأة ابن حزم في دراسة موضوع حسّاس وهو الحّب.

وهو ما لاحظته الكاتبة لويس أنيتا غيفين ،حين رأت أن تكليف الصديق له بالكتابة ، في الحّب لم يكن الدافع الوحيد وراء تكليف الكتابة، فقد عدّ ابن حزم نفسه مؤهلا بصورة خاصة لكتابة طوق الحمامة،إذ أنه قضى عام صباه حتى سن الرابعة عشرة تقريبا بين النساء ،كما علمنه القرآن والخّط والّشعر، ولكنه كان ذكيا شديد الملاحظة حسّاسا ،استطاع أن يكون العديد من الاكتشافات الحدسية عن نفسية النّساء[2]

وربّ سائل لا يليق بفقيه وصاحب مذهب ظاهريّ أن يتعرض لتجاربه الشخصيةّ ولكن ابن حزم يرى أن الحب ليس من الباطل ويصرّح بذلك في قوله :" الحب أعزك الله أوله هزل و آخره جد ... وليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة إذ القلوب بيد الله عز وجل"[3]

*المبحث الثاني:

*ابن حزم رائد أدب الاعتراف :

كان طوق الحمامة أروع كتاب درس الحّب في الشرق والغرب، في العالمين الإسلامي والغربي، تتبّع أطواره وحلّل عناصره، وجمع بين الفكرة الفلسفية والواقع التاريخي، وواجه أدق قضاياه في وضوح وصراحة، فكان ابن حزم الدارس الواقعي في كل ما حدث بالأندلس، وما اعتراها من تفكّك وتشتّت، فخبر طبائع البشر، وإنك لتقف الآن في مستوى أرقى الدراسات عن الحّب وأحواله هذا التقديم المشّق والحاسم. فهذا الكتاب جعلني مبهورة ،

[1] طوق الحمامة: ص 13 .

[2] لويس أنيت غفين:**أدب الحب وطوق الحمامة لابن حزم** ، دط، دت ج1 ، ص 105 .

[3] طوق الحمامة : ص 16 .

وكثيرا ما أطالعه وأحرص على ذلك ،ولا أنس تعريفه للحّب "الحّب أعزك الله أوله هزل وآخره جد ، دقت معانيه أن توصف لجلالتها، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة..."[1]

فكان أصدق ما يكون، وأعمق وأخلص لضميره، وأنقى لروحه، واعترافاته الجريئة بحلو حياته و مرها، ولا تحسبني أجزم بالقول : أن أدب الاعترافات والسيرة الذاتية كان رائده بلا منازع.

وهو يؤكد الصدق بقوله : " ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهنّ مالا يكاد يعلمه غيري لأني ربيت في حجورهنّ ...وسوء ظن في جهتهّن فطرت به "[2]

يتحدث في كتاب طوق الحمامة عن فلسفة الحّب، وهو يتناول العاطفة الإنسانية تناولا مفصلا فهو يعرض لنا جملة من التجارب ، والمشاهدات، فهو يكتب ويصور كل ما يراه ويسمعه، كأنه راصد فلكي أو جغرافي باحث، فظهور طوق الحمامة هو ظهور لكتابات نثرية، تعالج موضوعات متخصصة خاصة بالمرأة، فهو نوع م التنفيس عن عواطف، ومشاعر مكبوتة ناجمة عن ظروف الهجرة والغربة والحرمان العاطفي.

*أدب الاعتراف وعلاقته بالمنفى:

ان رحلات ابن حزم لم تكن اختيارية على حسب رأينا، بل كانت اجبارية في أحيان كثيرة ،فانتقاله من المرية كان طلبا للاطمئنان والاستقرار،و انتقاله من المرية الى الحصن كان قهرا ،وانتقاله من منفاه البلنسية كان لنصرة الخليفة، ثم عودته القرطبة، كان حنينا الى الربوع التي تربى فيها وترعرع.فالحافز للكتابةليس من أجل التسلية، وهو يشعر بدنو الديار، والجلاء عن الاوطان،و تغيرالازمان كما يقول، فهناك حوافز أخرى لكتابة هذه الرسالة،و ما كانت تسلية صديق الا انقداح الشرارة الاولى، التي بعثت الماضي كله حيا في نفسه، فكانت "نعم" جزءا من الماضي، ولكن ذلك الماضي كله انهار دفعةواحدة ،حين ذهب الدور والقصور،وانطفأ العز والجاه،و تشتت الشمل،وتهاون البلد الحبيب،تحت وطأة الدمار، فأورثته هذه النكبات احساسا مرهفا بمعنى الفقد والفراق.

فابن حزم كان يريحه أن يعودالى الماضي ويسجل ذكرياته واعترافاته،لانه لايمثل الحب فحسب،بل يمثل المجد والجاه، والعز والحياة،لقد تركته تجاربه الكثيرةيعيش في علو وانحدار،فهو يريد أن يخلد شعر فترة الشباب والصبا في كتاب،

[1] طوق الحمامة : ص 15 .
[2]- المصدر نفسه: ص 21.

وهو قد عرف الناس وخبر نفسياتهم وأدرك مدى سيطرة الحب على نفوسهم. فليس هو وصديقهاثنين من أولئك الناس ،فهو ينفرد بكونه يستطيع أن يستوعب تلك التجارب،وأن يخضعها للدراسة و التحليل .فتصبح رصدا لحركات النفوس وطبيعة العلاقات العاطفية والاجتماعية،فهو من خلال التجارب أحس أنه يقوم بدور السيكولوجي الاجتماعي ، وذلك كله يتطلب جرأة على الاعتراف،و تلك ميزة لم تكن تنقصه أبدا.

*تجسيد الاعتراف في كتاب طوق الحمامة :

يفسر ابن حزم موضوع الحّب حسب مؤهلاته الخاصة ، فموضوع الحّب صعب التحليل ، فالجدية التي يقصدها ابن حزم تكمن في تحديد مصير شخصين كتب لهما أن يتحابا ، فالحّب شعور يطغى على كيانهما ويسيطر عليهما إلى درجة أنه يغير مسار حياتهما كلية ، وإن لم يحدث هذا الوصل لظروف أقوى منها ، يحدث الهلاك والموت،ويسرد المؤلف عدة قصص تساند هذه الرؤية وتدعمها.وقد انساب في وصف التجارب الواقعية والذاتية في بعض مواضع كتابه فحاكها وانجرف معها ، فيقول: "وعني أخبرك أني ما رويت من ماء الوصل ولا زادني إلا ظمأ"[1]فهذا الاعتراف نلمس فيه شخصية الإنسان المرهف الذي يصغي لأحاسيسه وعواطفه.

ويصرح في موضع آخر بلذة الوصل المختلس فيقول:"وإن للوصل المختلس الذي يخايل به الرقباء، ويحتفظ به من الحضر مثل الضحك المستور والنحنحة ، وجولان الأيدي ، والضغط بالأجناب لموقعا من النفس شهيا"[2].

وهناك جملة من الاعترافات نجدها في ثنايا الكتاب حيث يقول:"وإني أعلم بعض من كان محبوبه يعده الزيارة فما كنت أراه إلا جائيا وذاهبا لا يقر به القرار ....."[3]

"ولولا أني لم اقصد في رسالتي هذه كشف الحيل وذكر المكائد، لا وردت مم صح عندي أشياء تحير اللبيب وتدهش العاقل، أسبل الله علينا ستره، وعلى جميع المسلمين بمنّه وكفانا"[4]

ويقول أيضا :" فالذي كلفني لابد فيه من ذكر ما شاهدته حضرتي وأدركته عنايتي ، وحدثني به الثقات من أهل زماني ، فاغفر لي الكتابة من الأسماء فهي إما عورة لا تجيز كشفها ، وإما حافظ في ذلك صديقا ودودا ورجلا

[1]- المصدر نفسه : ص 83.
[2]- المصدر نفسه : ص 87.
3- طوق الحمامة: ص 29.
4- المصدر نفسه : ص 37.

جليلا ، وحسبي أني أسمي من لا ضرر في تسميته ، ولا يلحقنا المسمى عيب في ذكره ، إما لاشتهاره لا يعني الطي وترك البين ، وإما لرضا من المخبر عنه ، بظهر خبره وقلة إذكارا منه لنقله"[1].

- وفي صفات السفير يقول:"سبل الله علينا ستره وعلى جميع المسلمين"[2].
- وفي صفات العاذل يقول:"ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري"[3].
- وفي باب الهجر يقول:"وحضرت مقام المعتذرين بين أيدي السلاطين، ومواقف المتهمين بعظم الذنوب مع المتمردين الطاغين، فما رأيت أذل من موقف محبّ هيمان، بين يدي محبوب غضبان، فقد غمره السخط فغلب عليه الجفاء"[4]
- لقد أكسبته هذه التربية خبرة بأحوال النساء وأسرار نفوسهنّ ، كما أتاحت له تجارب عاطفية فتحت قلبه الغض على الحّب والعشق ، وكذلك أمدته تلك البيئة بكثير من قصص الغرام وأطلعته على العديد من أحوال العشق، ووجهته منذ حداثته إلى البحث في فلسفة الحّب.

ـــويقول أيضا:" ويعلم الله وكفى به عليما ، أتى بربي الساحة ، سليم الأديم، صحيح البشرة ، نقي الحجرة وإني أقسم بالله أجل الأقسام أنني ما حللت مئزري على فرج حرام قّط، ولا يحاسبني ربي بكبيرة الزنا منذ عقلت إلى يومنا هذا"[5]

وفي باب المعصية يقول:" والصحيح في حقيقة تفسيرها أن الصالحة من النساء هي التي إذا ضبطت انضبطت، وإذا قطعت عنها الذرائع أمسكت ، والفاسدة هي التي إذا ضبطت لم تنضبط، وإذا حيل بينها وبين الأسباب التي تسهل الفواحش تخيلت في ان تتوصل إليها بضروب من الحيل...."[6]

في الاعتراف الأول لا نملك سوى الإعجاب بهذه الصفة النادرة ، وذلك الصلاح العجيب في بيئة كانت تدعو إلى الفساد وآيلة إلى السقوط (فتنة قرطبة) وابن حزم يروي لنا في حديثه عن قبح المعصية أن لدى الإنسان قوتين متصارعتين، قوة العقل وقائدها العدل ، وقوة النفس وقائدها الشهوة ، ولم يكن من الغريب على فيلسوف أعمل

1- المصدر نفسه:ص 13.
2- المصدر نفسه : ص 52.
3- المصدر نفسه : ص 70.
4- المصدر نفسه : ص 93.
5 - طوق الحمامة : ص 7 15.
6- المصدر نفسه : ص 155.

عقله في كل شيء، أن ينجح أيضا في تغليب عقله على شهوته، وتحكيم إرادته في هواه، " وما جاءت الشرائع بتحريم الزنا إلا لما فيه من إباحة الحريم، وفساد النسل، والتفريق بين الأزواج، الذي عظم الله أمره، مما لا يهون على ذي عقل أو من له أقل أخلاق"[1]

فلا غرابة بعد ذلك في أن نجده وعمله يتلاقيان، والتجربة تدلنا كما يقول أن الفضائل مستحسنة،ومستثقلة ، كما أن الرذائل مستقبحة،ومستحبة. فقد استطاع ابن حزم أن يقنع الناس من دلائل العفة، والورع والطهر والصلاح، ما جعل أعداؤه يعترفون له وكل أصدقاؤه بنقاء السريرة ، فعند قراءتنا لكتابة طوق الحمامة نجد في شخصيته الإنسان العادي، والفقيه الورع في الآن نفسه، ولكن الفقيه هو الذي انتصر على الإنسان العادي عندما ختم الرسالة بالمعصية وفضّل التعفّف.

كما نراه خبيرا بعالم النساء عندما يتحدث عن المرأة الفاسدة والصالحة ويقدم تفسيرا جيدا لذلك ولم لا وهو الذي أخذ منهنّ مختلف العلوم وتربى في حجورهّن .

وفي باب قبح المعصية يقول:" وقد ضمني المبيت ليلة في بعض الأزمان عند امرأة من بعض مشهورة بالصلاح الكثير والحزم، ومعها جارية من بعض قربائها من اللاّتي قد ضمّها معي النشأة في الصبا، ثم غبت عنها أعواما كثيرة، وكنت تركتها حين أعصرت ووجدتها قد جرى على وجهها ماء الشباب ففاض وأنساب، وتفجرت عليها ينابيع الملاحة ، فترددت وتحيرت، وطلعت في سماء وجهها نجوم الحسن فأشرقت وتوقدت ، وانبعث في خديها أزاهير الجمال فتمت واعتمت وكانت على بيت صباحة وقد ظهرت على بيت صباحة وقد ظهرت على صورة تعجز الوصّاف، وقد طبق وصف شبابها في قرطبة ، فبت عندها ثلاث ليالي متوالية ، ولم تحجب عني على جاري العادة في التربية، فلعمري لقد كاد قلبي أن يصبو ويثوب إليه، مرفوض الهوى ،ويعاوده منسي الغزل، ولقد امتنعت بعد ذلك من دخول تلك الدار، خوفا على قلبي أن يزدهيه الاستحسان، ولقد كانت هي وجميع أهلها ممن لا يتعدى الأطماع إليهنّ ، ولكن الشيطان [2]غير مأمون الغوائل وفي ذلك يقول:

لا تتبع النفس الهوى * ودع التعرض للمحن

إبليس حي لم يمت * والغبن باب للفتن

[1] المصدر نفسه : ص 172.

[2] – طوق الحمامة: ص 158.

هذا أكبر دليل على أن فقيها ورعا مثل ابن حزم ،لم يرتكب ما حرم الله مع هذه الجارية، التي كان يعرفها في طفولته ، وكانت الفرصة أمامه سانحة ، ولكن ورعه وتقواه هما اللذان منعاه من ارتكاب المعصية ، بالرغم من هذا الوسط المنعم الذي نشأ فيه،مما طاب بالحسان من كل جانب، فقد كان مثالا للعفّة والطّهر.

فهو لم يتردد في التأليف في هذا الموضوع و وبطريقة جريئة ودقيقة ، ذهب في سرد تجارب المحبين بشقيها الجسدي والروحي ، مدركا أن عواطف الحّب وما يتوخى عنها من تجاذب بين المحبين، ليس نفيا للدين و الشريعة،بل هي شيء فطري يتولد مع الإنسان ، مبينا نوعية السلوك الذي سوف تتبناه هذه النفوس المحبةلا بد من وعظ المحبين ونصحهم.

- نلاحظ مما سبق كيف يحاول ابن حزم كشف أكبر قدر ممكن من جوانب الحياة الإنسانية ، وهو لا يقوم بفضح هذه العلاقات بين الرجل والمرأة، لأنه الفقيه الورع المتدين، بل يحاول أن يتكلم عن تهؤلاء الأشخاص الذين وقعوا في الحبّ ، ويريدون الوصال وإلا حدث الهلاك .
- فالاعتراف هنا لم يخرج عن حقل الفضيحة، بل إلى الستروالدعاء في قوله: ((أسبل الله علينا ستره)) فابن حزم يعرف العواقب الناتجة عن قبح المعصية، حينما تخرج الأمور عن السيطرة وتغلب النّفس عنالعقل، فتحدث الفواحش وترتكب الذنوب.
- كما نستشف جدية ابن حزم في هذا الاعتراف، لأنها تكمن في تحديد مصير شخصين كتب لهما أن يتحابا.
- فما القيمة الفنية والأخلاقية في طرح الانحرافات التي تعرض لها الكاتب ورآها في حياته، ونقلها عن أشخاص ثقاة كما يقول هو ، وما فائدة أن يتعرّفالقارئ على محطّات الوحل، وآثام النفس التي شهدها في عصره.
- إذن الاعتراف كان نظيفا ، فابن حزم كان إنسانا عاديا، أثناء روايته لتجارب المحبين، وتجاربه الذاتية، إنسانا يحمل المشاعر و الأحاسيس،و يتفهم النزوات والهفوات .

* خلاصة الفصل الثاني:

إن الرسالة التي أوردها لصديقه تكشف حقائق خفية، حدثت في المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجري ، خاصة الحياة الاجتماعية للطبقة الراقية،.فاعترافات ابن حزم تكشف عن شخصيته من جهة ، وعن الكثير من جوانب الحياة الأندلسية، وأسرار الحكام،والرؤساء، وما يدور في بيوتهم من جهة أخرى.كما سلط الضوء على وضع المرأة في قرطبة إذ يمكن استنتاج طبيعة حياتها، ووظيفتها،وأبعاد الحرية التي تتمتع بها.فابن حزم يسرد لنا سيرته الذاتية ،وما حدث له في أيام العز والشقاء، فكانت السيرة الذاتية كالمؤرخ في قوة النقد، وكالعالم في القدرة على التصنيف والتقسيم، فهو يمتع قرّاءه بصورة من الواقع الملموس ، وابن حزم الأندلسي يمثل ذلك.

الفصل الثالث

شكل الإعتراف

✓المبحث الأول: دراسة الأخبار"دراسة الحكايات"

أ. فعالية الخبر

ب. بنية الخبر السردية

ت. الزمن بين الخبر و الحكاية

ث. الخبر وبنية الفضاء

ج. الدراسة الأسلوبية للأخبار

✓المبحث الثاني: دراسة الأشعار

أ. مفهوم الصورة الفنية.

ب. علاقة الصورة بالمعنى .

ت. التشكيل الجمالي للصورة.

ث. العناصر الحسية للتصوير الشعري عند ابن حزم.

فعالية الخبر:

نقصد بفعالية الخبر أننا نتوقف عند الحدث الخبري في ذاته,فمادام الخطاب هو جملة كبرى فان الحدث الدي سيتضمنه قد يكون واحدا أو متعددا "بسيطا أو مركبا , وهدا يساهم في تقليص مساحة الخبر او اتساعها على المستوى السردي،وكل دلك يعرف تنويعات متعددة بين خطاب وآخر ،وبالتالي يكون للخبر مميزاته على مستوى السارد و مواقعه من الحدث و الشخصيات"[1] .

يقول ابن حزم في باب المعصية :"وقد ضمني المبيت ليلة في بعض الأزمان عند امرأة من بعض معارفي ،مشهورة بالصلاح و الخير والحزم ،ومعها جارية من بعض قرابتها من اللاتي قد ضمتها معي النشاةفي الصبا .ثم غبت عنها أعواما كثيرة ،وكنت تركتها حين أعصرت ووجدتها قد جرى على وجهها ماء الشباب ففاض و انساب ،وانفجرت عليها ينابيع الملاحة فترددت وتحيرت وطلعت في سماء وجهها نجوم الحسن فأشرقت وتوقدت ،وانبعثت في خديها أزاهير الجمال فتمت و اعتمت .وكانت من أهل بيت صباحة ،وقد ظهرت على صورة تعجز الوصاف وقد طبق وصف شبابها قرطبة فبت عندها ثلاث ليال متوالية ،ولم تحجب عني على جاري العادة في التربية ،فلعمري لقدكاد قلبي إن يصبو ويتوب إليه مرفوض الهوى ويعاوده فنسي الغزل ،ولقد امتنعت بعد دلك من دخول تلك الدار ،خوفا على قلبي إن يزدهيه الإحسان ،ولقد كانت هي وجميع أهلها ممن لا تتعدى الأطماع اليهن ولكن الشيطان غير مأمول العوائل"[2]

عمل النص على تقديم حدث واحد، فكان الحدث المركزي ،هو مكوث ابن حزم ،وتذكر أيام الصبا حيث يقول :"ضمتها معي النشأة في الصبا ،ثم غبت عنها أياما كثيرة "[3] ،وخوفه من المعصية وطريقة تخلصه و امتناعه عن دخول تلك الدار ،فالخبر قدم الحدث في ذاته دون ان يتجاوزه الى اشياء اخرى ،فأشار الى مبيت ابن حزم ،عند تلك المرأة التي يعرفها معرفة جيدة ،ومصادفته لتلك الجارية في الصبا وفراره من منزلها ،خوفا من وقوعه في المعصية .

هده الصورة البسيطة كان لها دورها في تقليص شخصيات الخبر ،فهناك شخصيتان أساسيتان هما :ابن حزم والجارية. ولخلق مزيد من الحيوية والتشويق ،بات ابن حزم ثلاث ليال متوالية كما قال:"دون انقطاع " ولم تغب عنه أبدا ،بل كان يراها صباح مساء ،ولتأسيس الحدث المركزي أبعد السارد كل الشخصيات من الحدث "ولم تحجب عني على جاري العادة في التربية "3 وبقيت الشخصية الرئيسية وحدها ،لتحل الجارية بالفضاء ،ولكن خوف ابن حزم وتعففه منعته من الوقوع في الزلة ،فامتنع عن دخول تلك الدار حفظا لمكانته السياسية والاجتماعية .

---

[1] - سعيد يقطين، **الكلام و الخبر**، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص:203.
[2] - طوق الحمامة، ص:158.
[3] - المصدر نفسه، ص:158.

بنية الخبر السردية :

إن الخبر أو الاخبار هو فن قصصي بامتياز و استعمل للآدلال على كل ما يرتبط بالنص ،فالخبر ينقل الحياة الاجتماعية ووقائعها ،و هذه الشخصيات مستوحاة من التاريخ باعتباره الصادق الأمين في نقل الوقائع و الحقائق،ويقال لمن يروي الحكايات و القصص والنوادر بالإخباري .وقد تناقل المؤرخون أمثال الطيري ،والمسعودي وابن الأثير الأخبار للدلالة على مافي بطون هذه الكتب من قصص وأسمار ،فالاخباري عندهم هو القاص ."[1] وقد اتخذ ابن حزم في كتابه طوق الحمامة من القصص والأخبار وسيلة في هذا الكتاب مبينا ومفصحا عن أخبار العشق والعاشقين،ووفر لهذه الأخبار أشكال الاسناد وتحديد أسماء لشخصيات واقعية ،و أسماء مدن وقرى و طبقه من الحكام و الوزراء كانت معروفة في عصره ،بالإضافة الى استعمال اللغة المحكية في حوار شخصياته.

."إن الخبر أصغر وحدة حكائية ويتميز باعتباره يركز على الحدث وهو غير قابل لأن يحذف منه أي مقطع من مقاطعه التي يتكون منها "[2]

. فنسج الحكاية يتم عن طريق :

- البيئة الزمانية والمكانية .
- صراع الشخصيات من خلال ترتيب الأحداث.
- العقدة والحل، وهما خاتمة القصة .
- فالبيئة الزمانية :ليلة في بعض الأزمان .
- البيئة المكانية :دار المرأة المعروفة بالصلاح .
- الشخصيات : الرئيسية.
  الثانوية.
- فالشخصية الرئيسية :ابن حزم الامام .
- الشخصية الثانوية :المرأة الصالحة ،الجارية "المعروفة في الصبا".
- العقدة :وجود تلك الجارية التي عرفها ابن حزم من الصغر ،وتركها أيام الوزارة .

[1]- عزة الغنام، **الفن القصصي العربي القديم**، الدار الفنية للنشر و التوزيع، د ط، 1991، ص:23.
[2]- سعيد يقطين، **الكلام و الخبر**، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص:201.

- ❖ الصراع : بين العقل و الشهوة حيث يقول :"ولم تحجب عني ،لقد كاد عقلي أن يصبو ،ويعاوده منسي الغزل ....."[1]
- ❖ الحل :امتناع من دخول تلك الدار خوفا من المعصية .

الزمن بين الخبر و الحكاية :

تراكمت الدراسات النظرية و النقدية التي اهتمت بعنصر الزمن في الخطابات السردية بمختلف أنواعها و أشكالها لأن الزمن يعتبر نواة مركزية في كل خطاب سردي، إذ أن الحدث أو الفعل الحكائي يرتبط بالضرورة بعامل الزمن.

بالعودة الى النص السابق ،نسجل في نص الحكاية :حضور زمن القصة حضورا مباشرا ،فمع انفتاح الأحداث يؤشر السارد على القاص ،أو الاخباري "ابن حزم "على زمنها :"ضمني المبيت ليلة في بعض الأزمان "،الى جانب هذا المؤشر ،يمكث ثلال ليال ،كل هذه المؤشرات تتوحد فيما بينها لتدل على امتداد زمن الحكاية و اتساعه .

وما نلاحظه في هذا الخبر أن الزمن القصصي يبتدئ بخروج ابن حزم ،ومبيته ثلال ليال عند تلك المرأة المعروفة بالصلاح ،وتنتهي بامتناعه من دخول تلك الدار خوفا من المعصية .

فالحكاية اذن تتنوع عبر لحظات زمنية أساسية "ليلة ،ثلاث ليال "وتمتد هذه اللحظات عبر مساحة زمنية خطابية لا تتجاوز صفعة واحدة . ويؤلف بينها جميعا للشخصية الرئيسية "ابن حزم ".الشخصيات الثانوية "الجارية ،المرأة المعروفة بالصلاح ،أهل الجارية "

ـوهذه اللحظات الزمنية تقدم مجموعة من الأخبار الجزيئية وهي كالتالي :

- ❖ خبر ومبيت ابن حزم .
- ❖ خبر الجارية التي عرفها في الصبا .
- ❖ المكوث ثلاث ليال متوالية .
- ❖ الامتناع من دخول تلك الدار .

ـومن خلال هذا التجزيئ نلاحظ أن القاسم المشترك في هذا الخبر هو الشخصية ابن حزم "الماضي والحاضر "الذي أثبت حضوره ،في كل الأزمنة والأحداث .وهذا المخطط يبين ذلك :

البداية الأحداث الذهاب الامتناع النهاية

المرأة الجارية

[1]- طوق الحمامة، ص:158.

فالبداية مكوث إبن حزم عند المرأة المعروفة بالصلاح و الثقة، و فجأة وجد عندها جارية يعرفها من قبل، كانت في قصر أبيه، فتوالت الذكريات و عاد الحنين و الشوق، و بقي هناك ثلاث ليال متوالية و لكن خوفه من الوقوع في الخطأ، أجبره إلى الخروج من هذه الدار و الابتعاد عما يضره فكانت النهاية.

الخبر و بنية الفضاء:

الفضاء نوعان: الزمان و المكان، و نقصد بالفضاء هنا المعنى البسيط الذي يدل عليه، أي فضاء الأحداث، فنحن هنا سنقارب الفضاء في علاقته بالحدث الخبري. "و قد يتنوع المكان أو يتعدد في عمل حكائي يتميز بالتركيب و الاتساع على مستوى الأحداث و الأزمنة و يستدعي ذلك تحول الفضاءات و تعدد الأمكنة التي تنتقل عبرها الشخصيات و هي تسير نحو تحقيق أهدافها[1]"فمي النص الأول الذي بين أيدينا نلاحظ أن البيئة الفضائية لم تعرف التحول والتغير .ففي الخبر نلاحظ أن الفضاء تميز بالوحدة .وبقي هذا الفضاء الوحيد بدون ملامح محددة لطبيعته وخصوصياته فكانت الاشارة الى دار تلك المرأة التي يعرفها ابن حزم المشهورة بالصلاح والخير والحزم ،فما هي طبيعة هذه الدار ؟وما هي أوصافها ؟ وأين توجد؟

هذه عناصر أساسية تساهم في بلورة مميزات الفضاء باعتباره مكانا للأحداث الا اننا لا نعثر على شيء من هذا القبيل في النص الخبري .فهذا المنزل الذي تمت الاشارة اليه بقي مجهول الملامح والصفات ،هل هو منزل عادي أم منزل متميز توجه اليه ابن حزم ؟إن الخبر لا يقدم شيئا ويكتفي بنسبته لتلك المرأة التي يعرفها ابن حزم.

النص الثاني .

يقول ابن حزم الأندلسي في باب البين :"وعني أخبرك أني أحد من دهي بهذه الفادحة ،وتعجلت له المصيبة،وذلك أني كنت أشد كلفا ،و أعظمهم حبا بجارية لي ،كانت فيما خلا اسمها نعم وكانت أمنية المتمني وغاية الحسن خلقا خلقا و خلقا ،وموافقة لي ،كنت أبا عذرها ،وكنا قد تكافأنا المودة ففجعني بها الأقدار ،واخترمتها الليالي ومر النهار ،وصارت ثالثة التراب ،و الأحجار ،وسني حين وفاتها دون العشرين سنة ،وكانت هي دوني في السن ،ولقد أقمت بعدها سبعة أشهر لا أتجرد من ثيابي ،ولا تفتر لي دمعة على جمود عيني ،وقلة اسعادها .وعلى ذلك فو الله ما سولت حتى الآن ،ولو قبل فداء لفديتها بكل ما أملك من تالد وطارف ،وببعض أعضاء جسمي العزيزة علي ،مسارعا طائعا وما طاب لي عيش بعدها ولا نسيت ذكرها ولا أنست سواها ولقد عفى جي لها على كل ما قبله وحرم ما كان بعده "[2].

عناصر الحكاية كالتالي :

- البيئة الزمانية :مرحلة الشباب "الصبا".
- البيئة المكانية :القصر "كان يعيش مع أبيه الوزير ".
- الشخصيات :ابن حزم ونعم .
- الصراع :معاناة ومأساة كبيرة بعد فقدانها .

[1]- سعيد جبار، **الخبر في السرد العربي**، شركة النشر و التوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط 1 ، 2004، ص116.
[2]- طوق الحمامة، ص:116.

- العقدة :فاجعة الموت .
- الحل :تعفف وامتناع عن الزواج .

فهذه المراحل تلخص مضمون الحكاية وتقدمها كالتالي :

- خبر ابن حزم وتعلقه الشديد بنعم .
- خبر وفاتها حيث كانت دونه سنا .
- معاناته الشديدة بعد وفاتها .
- امتناعه عن الزواج وتعففه بعدها .

الزمن من الخبر والحكاية

تم مقاربة الزمن في الخطاب باعتباره المؤطر لسيرورة الأحداث وتعالقها ،والخبر الذي بين أيدينا يقدم لنا زمن ابن حزم ،وهو الفترة التي كان يعيشها مع أبيه الوزير في قصر الزاهرة ،وحوله الجواري الحسان ."....اني كنت أشد الناس كلفا ،وأعظمهم حبا بجارية لي ...."[1].

ـ فهذه اللحظات الزمنية عايشها قبل خروجه من قرطبة ،وقبل الأزمات السياسية التي حلت بقرطبة .كما نجد الزمن حاضرا بقوة عند حدوث المحنة أو المصيبة ،ووفاة نعم ،حيث بقي ابن حزم كما قال :"سبعة أشهر لا أتجرد من ثيابي"وذلك من شدة المعاناة و الأسى لفقدانها .وهذا التداخل اقتضى العودة الى الماضي واستحضار أحداثه لتبرير سلوكات و أحداث في الزمن الحاضر .ويمكن تمثيل ذلك :

سبعة أشهر لم يتجرد من الثياب

البداية ◄ النهاية

البكاء الشديد عدم النوم

ـ حب كبير "الكلف"	ـ فاجعة القدر .
ـ نعم جميلة خلقا وخلقا .	ـ الموت الحتمي .
ـ أمنية كل انسان	ـ عدم النسيان .
	ـ ما طاب لي عيش بعدها

[1]- طوق الحمامة، ص:116.

ـأما في ما يخص السرعة و المتمثلة في مجموعة من التقنيات التي تساهم في بلورة زمن السرد بزمن الحكاية فان التركيز فيها عند "جرارد جنيت gerard genette"[1]كان من خلال تحديد أهم التقنيات التي تساهم في تشكيل هذه السرعة في مستوياتها المختلفة وقد حددها بالتقنيات الآتية :الوقف ،الحذف ،التلخيص ،المشهد .

1ـ الوقف "pause":حيث يكون زمن الحكاية متوقفا وزمن الخطاب سريعا ،ويرتبط على الخصوص بالمشاهد الوصفية التي يتوقف فيها زمن الحكاية :"أمنية المتمني ،خلقا وخلقا ،موافقة لي ،تكافأنا المودة "فهذا الأخير فتح المجال لتحديد ملامح هذه الشخصية .فهي شديدة الجمال ونبيلة الأخلاق ،ويتمناها أي شخص رأى فيها هذه الصفات و الشمائل .

2ـ الحذف"ellipse":ويعنى بالحذف ما يعتري الحكاية من قفز على فترات زمنية قد تطول أو تقصر ،وفي هذه الحالة يكون زمن الخطاب متوقفا وزمن الحكاية سريعا ،ويتم ذلك في الغالب بواسطة مؤشرات خطابية وهي :بعد أسبوع، مرت سنوات وفي الخبر وجدنا "فلقد أقمت سبعة أشهر "كما نلاحظ من خلال هذا الخبر هيمنة الزمن النفسي الذي يجعل الأحداث تتحرك ببطء .وفي نفس الوقت يفتح المجال أمام الكشف عن العالم الداخلي للشخصيات :"لا تفتر لي دمعة على جمود عيني وقلة اسعادها وعلى ذلك فوالله ما سلوت حتى الآن "النفي والقسم "ولو قبل فداء لفديتها بكل ما أملك ،وببعض أجزاء جسمي العزيزة علي ".

أغلى شيء يملكه الانسان في جسمه :الرؤية والمشي ،ومن ذا الذي يضحي ببعض أعضائه في الجسم ؟الا اذا كان انسانا مخلصا ومحبا لمحبوبه ،فقصص الحب تتميز بخصوصيات فردية.

فعالية الخبر :

عمل النص على تقديم حدث واحد ،فكان الحدث المركزي هو تعلق ابن حزم الشديد لتلك الجارية نعم ،فكان التعارف، الحب ،المحنة ،الوداع ،فالموت .فالنص الثاني قدم الحدث الخبري في ذاته دون أن يتجاوزه الى أشياء أخرى فأشار الى تعارف ابن حزم بتلك الجارية التي كانت تعيش في القصر .وكيفّ أحبها حبا شديدا ،ونهاية هذا الحب المأساوي الذي انتهى بوفاتها وهي في ريعان شبابها ،وكيف حزن عليها حزنا شديدا ،وأضاف الى هذا الحدث تعففه بعدها وحرمانه .

وبقيت الشخصية الرئيسية وحدها تعاني الحرمان والوداع و الألم وينتهي المشهد باستسلام ابن حزم للزمن ،والرضا بقضاء الله وقدره فهذه الأحداث جميعها لها موجه واحد يتمثل في الغالب في الشخص فهو في هذا الخبر الذي اعتمدناه "ابن حزم الامام "

[1]- جرارد جينيت، **الصور**، ترجمة كتاب خطاب الحكاية، محمد معتصم و أخرون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1996

ـ ونحن نتابع أحداث الخبر صادفنا عنصر "الاثارة "وهو عبارة عن فعل ذاتي يستدعي رد فعل ضروري استجابة لهذه الاثارة وبالتالي تصبح سيرورة الخبر مرتبطة برد الفعل الذي يقوم به الشخصية تجاه هذا المثير .

وقد لمسنا في هذا الخبر الاثارة الوجدانية التي تتعلق بتحريك العواطف الغريزية للشخصية ،ويبدو هذا التحريك الغريزي مرتبطا بحاسة من الحواس كالسمع والبصر .وحاسة البصر حاضرة هنا في هذا الخبر لانها مرتبطة بالجانب العاطفي الوجداني فكانت متنوعة وحيوية وتجلت بطرق مختلفة ،ومن أمثلة هذه الاثارة نتوقف عند الخبر التالي: "....كانت أمنية المتمني ،وغاية الحسن خلقا وخلقا ،وموافقة لي ،وكنتّ أبا عذرها . وكنا قد تكافأنا المودة "[1]تتمثل الاثارة هنا في افتتان ابن حزم بهذه الجارية وتحريك غريزة الامام ارتبطت بالرؤية البصرية .

النص الثالث :

ففي باب الوفاء يقول :"كان لي مرة صديق ففسدت نيته بعد وكيد مودّة لا يكفر بمثلها ،وكان علم كل واحد منّا سرّ صاحبه،وسقطت المؤونة ،فلما تغير علي أفشى كل ما اطلع لي عليه مما كنت اطلعت منه على أضعافه ثم اتصل به أن قوله فيّ قد بلغني ،فجزع لذلك وخشي أن أقارضه على قبيح فعلته وبلغني ذلك فكتبت اليه شعرا أؤنسه فيه ،وأعلمه أني لا أقارضه ."[2] ويقول أيضا :"ومما يدخل في هذا الدّرج ،وان كان ليس منه ،ولا هذا الفصل المتقدم من جنس الرسالة والباب ،ولكنه شبيه له على ما قد ذكرنا و شرطنا ،وذلك أن محمّدابن وليد بن مكسير الكاتب كان متصلا بي ،ومنقطعا الى أيام وزارة أبي رحمه الله فلما وقع بقرطبة ،ما وقع ،وتغيرت أحوال ،خرج الى بعض النواحي فاتصل بصاحبها ،فعرض جاهه وحدثت له وجاهة وحال حسنة ،فحللت أنا في تلك الناحية في بعض رحلتي ،فلم يوفني حقي بل ثقل عليه مكاني ،وأساء معاملتي وصحبتي ،وكلفته في خلال ذلك حاجة لم يقم فيها ولا قعد واشتغل عنها بما ليس في مثله شغل ،فكتبت اليه شعرا أعاتبه فيه فجاوبني مستقيما على ذلك ،فما كلفته حاجة بعدها ."[3]

إن القاسم المشترك الجامح بين النصين هو صفة الحكائية التي ترتبط أساسا بمضمون الحكاية ،وتوحدهما معا ضمن الجنس الواحد "السرد". ونحن نلخص المحتوى الحكائي لهذين النصين ،نلاحظ اسم العلم الذي يختلف بين النصين وبالتالي يمكن تقديمها على الشكل التالي :

- ❖ فساد نية الصديق بعد خروج ابن حزم وفراره من قرطبة واستقرار في شاطبة "الجانب السياسي ".
- ❖ محاولة الصديق تبليغ سر مكانة للحكام وافشاء سره .

[1]- طوق الحمامة، ص:116.
[2]- المصدر نفسه، ص:102.
[3]- المصدر نفسه، ص:102.

- ❖ خوف الصديق من انتقام ابن حزم بسبب الوشاية .
- ❖ عفو ابن حزم .
- ❖ هروب ابن حزم من قرطبة .
- ❖ اتصاله بالرجل الذي يعمل عند أبيه .
- ❖ محاولة خيانة الرجل له .
- ❖ عدم قبوله في بيته وسوء معاملته له .

ـ فهذه المراحل الحكائية تلخص مضمون النصين معا وتقدمهما في صورتهما الاجمالية ،فالنص الأول نسميه "خبرا"،لانه شكل بسيط ،في حين نسمي النص الثاني "حكاية"،وهو من الأشكال المركبة التي نتجت عن المقاطع المتوالية "للخبر".وبالعودة الى النصين السابقين نسجل في نص الخبرحضور زمن القصة حضورا مباشرا ،فمع انفتاح الأحداث يؤشر الاخباري أو القاص على زمنها "أيام فتنة البربر وسقوط قرطبة "فكان زمن الأحداث معلنا عنه ،وقد تميز هذا الزمن بطابعه السياسي "أيام الوزارة "،ويمكن أن نضع أيدينا على مجموعة من المؤشرات الزمنية التي تفيد اتساع مدى الأحداث وامتداد زمنها ومن ذلك:"ما وقع ، تغيرت أحوال في قرطبة ما وقع ،ثقل عليه مكاني ".

ـ فالحكاية اذن تتنوع عبر لحظات زمنية ويؤلف بينها جميعا الشخصية المركزية "ابن حزم الأندلسي "فهذه اللحظات تقدم مجموعة من الأخبار الجزئية وهي كالآتي :

- ❖ خبر وفائه لصديقه .
- ❖ وضعيته بعد سقوط قرطبة .
- ❖ فراره عند محمد بن مكسير .

ومن خلال هذه الأحداث نلاحظ أن القاسم المشترك بين هذه الأخبار جميعا هو شخصية "ابن حزم"الذي أثبت حضوره في كل الأزمنة والأحداث.

كما نلاحظ في النص الثاني التركيز على زمن مركزي يعتبر النواه الأساسية للحكاية،وتمثل هنا في فرار ابن حزم نتيجة للأوضاع السياسية من قرطبة الى شاطبة ،ومكوثه عند الكاتب محمد بن مكسير الذي كان في وزارة أبيه سابقا ،فلجأ اليه ،ولكنه أساء معاملته وصحبته ، ففي هذه الفترة الزمنية نلاحظ تركيز الاخباري على ذكر هذه التفاصيل الجزئية على خلاف ما تلى ذلك من الأحداث ،حيث كان يقفز على فترات زمنية من خلال حرف العطف "الواو والفاء"

ـ نستنتج من خلال هذين النصين أن وحدة الزمن في الخبر الأول بسيطة ،في حين نجد أن وحدة الزمن في الخبر الثاني "الحكاية"يتم عبر الشخصية المحورية "ابن حزم الأندلسي في هذه الحكاية".

في النصين الذين نشتغل بهما في هذا الفصل نلاحظ ان البنية الفضائية عرفت نوعا من التحول و التغير, و نحن ننتقل إلى الحكاية,ففي الخبر نلاحظ أن الفضاء تميز بالوحدة,وبقي هذا الفضاء الوحيد بدون ملامح محددة لطبيعته و خصوصيته{فساد النية مع صديقه,سقوط المؤونة ، الوشاية به}.

في المقابل نجد في النص الثاني انّ الحكاية عرفت تنويعاً في الفضاءات,فهي تتوفر على بعض الملامح التي تميزها,فيشعر القارئ و هو يتابع أحداث الحكاية أنّهينتقل عبر فضاءات مؤشر عليها بصورة مباشرة,فمع انفتاح الحكاية يعلن السّارد عن الفضّاء المتوجه إليه و هو"اتصال ابن حزم بكاتب أبيه في شاطبه:",و قد شّكل هذا الفضاء المحّطة الأولى في توجيه سيرورة الحكاية.فالمرور إذن من الحدث البسيط إلى الحدث المركب اقتضى بالضرورة تأسيس فضاء أكثر اتساعاً يسمح بتنقل الشخصيات الأساسية عبرها و هي تساهم في تطور سيرورة الأحداث.

و في النهاية قدمنا مجموعة من الأخبار في هذا الفصل لها علاقة بالنقاط التالية:

- ❖ _ الخبر أصغر وحدة حكائية يتميز بالإيجاز فالهدف منه أن تقول كل ما يجب قوله,فليس المقصود الإختصار إنّما هو الدّقة.

_ كما تميز بالوضوح من خلال الأخبار التي عرضناها فأفكار ابن حزم مرتبة ترتيباً منطقياً معقولاً.

_ و حملت هذه الأخبار فائدة فاجتذبت العقل و القّلب و الخيال.

_إلى جانب أنّها تميّزت بالواقعّية,و معنى ذلك أنّها تصورالحياة تصويراً قريبا جدّاً من الحّقيقة و لا تعتمد كثيرا على عنصرا مصادفة و الحّظ,ذلك أنّ الخبر يتركز على مرجعيات تاريخية,و ما سرده ابن حزم في هذه الأخبار راجعٌ إلى التاريخ لاغير.

الدراسة الأسلوبية للأخبار

توطئة:

بعدما درسنا هذه الحكايات التي هي عبارة عن أخبار في كتاب طوق الحمامة, ننتقل إلى دراستها دراسة أسلوبية بجميع مستوياتها، و من أجل أن تكون الدراسة تامة وملموسة ،توخينا للتركيز أكثر للوصول إلى نتائج وخلاصات دقيقة ،فضلنا الاعتماد على تجليات نصية محددة ،من المدونة التي نشتغل بها قصد تحليل مكوناتها الخطابية .

ومن خلال تصفح كتاب طوق الحمامة لابن حزم، صادفنا مجموعة من الأخبار والحكايات، ترى من طرق مختلفة وهذا الاختلاف في الروايات متعددة . وهذا الاختلاف يكون كفيلا بأن يطلعنا على بعض التحولات التي تصيب الخبر ، أو الحديث الواحد، فتوقف عند التحولات التي تصيب البنية السردية،من رواية إلى أخرى فهناك أخبار طويلة،وأخبار قصيرة .كما يبدو أن بنية الأخبار تأثرت بالمبدأ الذي ألزم له ابن حزم نفسه ،في مقدمة الكتاب و المتمثل في أنه لا يضيف في هذه الأخبار ،وإنما يورد خبرا شاهده، وعايشه أورده، عن ثقة يعرفه ويمكن تمثيل ذلك

النص السردي

المؤلف ⟵ السارد ⟵ المسرود له ⟵ القارئ

وقد اعتمدنا في دراسة الاخبار والاشعار، دراسة أسلوبية نفسية ،أو تعبيرية أو ذاتيةحيث أن اللغة تعبر عن الاحاسيس و الانفعالات و العواطف . وترمي الدراسة الاسلوبيةبصفة عامة،الى دراسة النص دراسة نحوية تركيبية،و ذلك لاظهار القيمة الاسلوبية،التي تتميز بها نحوية الشعر،من سائر ضروب الكلام ،و لإبراز السمات الاسلوبية، والبلاغية المميزة للنّص.وتستخدم الدراسة الاسلوبية، عند طائفة من الاسلوبيين طرائق من التحليل اللساني،للظواهر اللغوية،فتقف على الظواهر المتكررة في النص، فتنظر مثلا في نظام الافعال

واستعمال المشتقات ،و حروف الجرّ،و المركبات النعتية والحالية وغيرها .

والاسلوبيةالنفسية أو التعبيرية، رائدها **charles bally**و هو تلميذ دي سوسير،و قد اهتم بالقيم العاطفية، والتغيرات اللغويةالحادثة، على مستوى اللغةالمنطوقة التي تكشف عن قيم أسلوبية، و قد أدخل على مشروعه أبعاداعاطفية واجتماعية،و يبدو ذلك من المستويات النظرية التالية[1]:

- تعريفه للكلام و تحديده لوظائفه :وظيفة عقلية,وظيفة اجتماعية,وظيفة عاطفية.

[1]- يوسف أبو العدوس، **الأسلوبية الرؤية و التطبيق**، دار المسيرة للنشر و التوزيع، الأردن، الأردن، ط 1، 2007، ص97.

-تعريفه للأسلوبية بكونها دراسة ظواهر تغيير الكلام,و فعل ظواهر الكلام قائمة على الاحساس.

-تحديده لموضوعها،فهو ليس الكلام بصفة عامة، ولا كلام فرد معزولا أدبيا كان أوانسانا عاديا،و انما مجموعة لغة بشرية معينة.

نستنتج من كلام بالي أن الاسلوبية النفسية ،تعنى برصد الطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة، فاللغة هي شيء ضارب في صميم الذات.فروح الكاتب تمثل النواة المركزية التي تدور حولهانظام النص كله،فيمكناعتبار أدوات التعبير مختلفة باختلاف أرواح الادباء و الشعراء الذين يستخدمونها،باعتبار أن لكل فرد أديب تركيبه النفسي الخاص به،و يتميز أسلوبه عن سائر الاساليب.فهذه الذات تحمل تجربة نفسية خاصة،أفرزت انتاجا لغويا خاصا.

*المستوى الصوتي:

ويعنى هذا المستوى في بحثنا بتناول الصوت اللغوي، داخل بينية الخطاب من حيث علاقته بالأصوات المجاورة من ناحية ، ووظيفته في تحديد المعنى من ناحية أخرى[1]وأول ما يلفت انتباها أن ابن حزم في سرده لهذه الأخبار ،الموجودة في ثنايا الرسالة التي وجهها لصديقه،تحتوي على عنصر السّجع الذي هو معروف:بأنه توافق الفاصلتين في الحروف الأخيرة، من الكلام والسجع ثلاثة أنواع السّجع القصير ، السّجع المتوسط ، والطويل.

يقول ابن حزم :" ... وكانت غاية في حسن وجهها، وعقلها ،وعفافها، وطهارتها وخفرها، وذماثتها عديمة الهزل، منيعة البدل، بعيدة البشر، مسبلة الستر، فقيدة الذام، قليلة الكلام، مغضوضة البصر، شديدة الحذر ، نقية العيوب ، دائمة القطوب ، حلوة الأعراض ، مطبوعة الإنقياض" [2]

نلاحظ في هذا الأخير توظيف السّجع الطويل، وفيه رونق وجمال، ومن جانب آخر ،فإن الكاتب قصد أصل إيصال هذا الخبر بفاصلة موسيقية ،تتردد بانتظام في قوله : وجهها ، عفافها ، الهزل ، البذل ، البشر ، الستر. فتكرار هذه الوحدات الصرفية تضفي على الخبر تناغما موسيقيا ، وفر ابن حزم لنشره ايقاعا لطيفا، من خلال استخدامه للجناس فيقول :"فأنت تعلم أن ذهني منقلب وبالي مهصّر بما نحن فيه من نبوّ الديارّ،والبعد عن الأوطان

[1]-خليل حلمي:**مقدمة لدراسة اللغة** ،دار المعارف الإسكندرية ، دط، 2000 ، ص 66.

[2]- طوق الحمامة : ص 138 .

وتغير الزمان ،ونكبات السلطان، وتغير الإخوان."....[1] فالجناس اللطيف المتوفر في الكلمات الآتية : الأوطان ، الزمان ، السلطان، الإخوان ، يجذب القارئ ويحدث في نفسه ميلا إلى الإصغاء .

كما وصف رحلته لبستان قائلا :"ذهبت أنا وجماعة من اخواني من أهل الأدب والشرف، إلى بستان لرجل من أصحابنا فجعلنا ساعة، ثم أفضى بنا القعود إلى مكان دونه يتمنى، فتمددنا في رياض أريضة، وأرض عريضة، للبصر فيها منفسح ، وللنفس لديها منسرح، بين جداول تطرب لها أباريق اللجين ،وأطيار تغرد بألحان تزري بما أبدعه معبد والغريض،و ثمار مهدلة قد ذلّت للايدي ودنت للمتناول، وظلال مظلة تلاحظنا الشمس من بينها فتتصور بين أيدينا كرقاع الشطرنج،و الثياب المدبجة ، وماء عذب يوجدك حقيقة طعم الحياة.."..2

فاختار ابن حزم ألفاظا تمنح للمتلقي نغمة موسيقية ،تطرب لها النفس فالجناس الناقص ،بين الكلمات رياض أريضة ، أرض ، عريضة، منفسح ، منسرح ، ظلال ، مظلة ، فهذا الجناس يحقق جرسا موسيقيا ، ويضيف للنثر جمالا وشعرية .إنّ ما يزيد من جمال هذه الأخبار وبهائها كثرة المحسنات البديعية اللفظية،والمعنوية التي تعتبر سمة أسلوبية مميزة وهذا ما نجد في هذه الأخبار، حيث زخر النص بالطباق أو التضاد الذي لا تكلف فيه ولا تصنع، فكان التضاد بغرض توضيح المضمون من ناحية ، وتحقيق النغمة الموسيقية من ناحية أخرى، فمثلا في باب الإشارة بالعين يقول : "... ويبلغ المبلغ العجيب، ويقطع ويتواصل ،ويوعد ويهدّد ،ويفيض ويبسط، ويؤمر وينهي، وتضرب له الوعود، وعلى الرقيب، ويضحك ويحزن، ويسأل ويجاب ،ويمنع ويعطي"[2]. فبني ابن حزم الطباق بين الكلمات (قطع ، وصل ، وعد ، تهديد، قبض ، بسط ، أمر ، نهى ، ضحك ، حزن ، سؤال ، جواب ، منع ، عطاء). فهذه الأضداد تعطي متعة ذهنية للقارئ ،كما تقوم بتوضيح المعنى وتأكيده بنقله من المجرّد إلى المحسوس.

وعندما أحصينا التضاد (الطباق) والتجنيس (الجناس) ، وجدنا النتائج الآتية:

المحسن البديعي	العدد	النسبة المئوية %
الطباق	308	37.60
الجناس	511	62.40
المجموع	819	%100

[1]-المصدر نفسه :ص 190 .

[2]- المصدر نفسه : ص 47 .

نلاحظ من خلال الجدول توظيف التجنيس بنسبة أكبر من التضاد،فذكر أعراض الحّب وصفاته، المحمودة والمذمومة،فباب العاذل وضذه با ب الصديق المساعد ،و باب الهجروضده باب الوصل، ويقول أيضا :" للوفاء شروط على المحّب،لازمة فأولها أن يحفظ عهد محبوبه ، ويرعى غيبته وتستوي ،علانيته وسريرته، ويطوي ستره وينشر خبره، ويغطي على عيوبه ،ويحسن أفعاله ،فيتغافل عما يقع منه على سبيل الهوة، ويرضى بما حمله ولا يكثر عليه، بما ينفر منه وألا يكون طلعة ثؤوبا ،ولا ملة ظروفا "[1] وردت بين الكلمتين (العلانية ، السريرة) – (الشر الخير) وهذا التضاد البسيط ،جزء من التضاد المركب، يطوي شره ، وينشر خيره، فهذا التضاد شكل جرسا موسيقيا، وأسهم في التعبير عن مكنونات نفسه، فغدت اللفظ تمثيلا صادقا لأحاسيس هذا الكاتب. ويقول في باب الغدر:" أنّ الوفاء من سرّي النعوت، ونبيل الصفات ،كذلك الغدر من ذميمها ومكروهها."نلاحظ هنا الطباق بين الوفاء والغدر،ومذموم ومكروه، فالتضاد إذا شكل قيمة فنية للنص، متمثلة في قدرته على أخذ الأمر من ضده، فكلام ابن حزم هنا عن الوفاء والغدر، يرشد ألمه الشديد واستيائه من صفة الغدر، فأبان النص السابق ألم ابن حزم من طبيعة النفس البشرية، التي تحمل الوفاء والغدر معا، فمن الناس من يغلب هذا على ذلك ومنهم من يغلب الغدر على الوفاء .

*المستوى الصّرفي Morphology:

ويعنى المستوى الصرفي بتناول أبينة الكلمات داخل بنية الخطاب الشعري، من حيث ما يعتريها من زيادات وتحولات،تغير دلالتها أو وظيفتها، نتيجة لدخول عناصر لغوية معينة [2] .وفي ضوء ذلك نلاحظ أن ابن حزم غاير في استخدام الأفعال ما بين الزمن الماضي، والمضارع ولعل زيادة حضور كل الفعل الماضي، والمضارع وتقارب نسبة حضورها بشير إلى اهتمام المرسل، بإبراز الحديث مقترنا بزمن إنتاجه عبر مساحة زمني، يتصل خلالها الماضي بالحاضر ، بهدف توفير مقومات الإقناع في رسالته، التي بعثها إلى صد يقه. يقول : "وكثير من الناس يطيعون أنفسهم،ويعصون عقولهم ،ويتبعون أهوائهم ،ويرفضون أديانهم، ويتجنبون ما حّض الله تعالى وقد علمنا أن الله عز وجل ركب في الإنسان طبيعتين متضادتين" [3] .بدأ الحديث بالأفعال المضارعة، لأنه يتحدث عن أمور مستحدثة، يختار الإنسان فعلها لطاعة النفس وعصيان العقل ، و إتباع الهوى،لذا لجأ إلى المضارع عن الماضي ، ليبين أن

[1]– المصدر نفسه:ص 104 .

[2]– ينظر : خليل حلمي ،**مقدمة لدراسة علم اللغة** ، ص 87 .

[3]–طوق الحمامة:ص 25 .

الأصل في تركيب الإنسان خلاف ذلك، فالزمن الماضي أفاد رسوخ الطبيعتين في الإنسان وأنهما في أصله،لذا تحدّث عنها بالزمن الماضي .

كما وظف ابن حزم ألفاظا غريبة غير متداولة، إذ لم نجدها في أغلب المؤلفات، ولم تتناقلها الألسن ومن أمثلة ذلك قوله: "وما أصناف النبات بعد غبّ القطر، ولا إشراق الأزاهير، بعد إقلاع السحاب السواريات في الزمان السجسج،ولا خرير المياه المتخللة لأفانين النوّار،ولا تأنق القصور البيض قد أحدقت أنهار رياض الخضر".فاستخدام كلمة سجسج وهي لفظة غريبة غير مألوفة والسجسج لغة الهواء المعتدل بين الحرّوالبرد[1]

فيصف ابن حزم وصل المحبوب ويبين، أن لاشيء في الدنيا أجمل من وصله ولقائه، فعمد لاستخدام كلمات لم يستخدمها الكثيرون من قبله،ومن أمثلة ذلك استخدامه لكمة الكلف، بها دلالة على الحّب الشديد فقد حرص ابن حزم على اختيار الألفاظ البليغة، والمعبرة عن أمر آخر . فالكلف لغة كلف الشيء كلفا وكلفة فهو كلف ومكلف وكلف بها أشد الكلف أي أحبها ورجل مكلاف محّب للنساء .[2] وهذا يظهر قدرة ابن حزم اللغوية وسعة معرفته بالألفاظ، وسعيه الدؤوب لاستخدام كلمات بليغة،ومعبرة في الوقت نفسه. فإن أراد الباحث معرفة مدى المستوى الثقافي، لآهل عصر من العصور فلا بد من النظر في لغتهم، لمعرفة مدى ثقافتهم والمستوى الفكري لذلك العصر .كما اشتمل النص على أسماء التفصيل التي تعبر عن مشاعر الكاتب، التي يريد إيصالها للقارئ ولقد وضحت هذه الألفاظ المراد الذي يسعى إليه ابن حزم حيث يقول يصف محبوبته: " هي ألذ من العافية وأحلى من المنى ،.وأدنى من النفس،و أقرب من النسّب،و أرسخ من النّقش على الحجر، ثم لم ألبث أن رأيت تلك المودة قد استحالت عداوة أفظع من الموت ،و أنفذ من السهم،وأمر من السقم،وأوحش من زوال النعم.،وأقبح من حلول النّقم، وأمضى من عقم الرّيح." [3]

بعد أن وصف مجبوبته وشبّهها بأنها ألذ من العافية، وأحلى من المنى شبّه ، محبتها بأنها باقية وراسخة،أكثر من النقّش على الحجر، فمحبتها نقشت على جدار القلب، كما ينقش على الحجر ،ثم لا يلبث حتى تتحول هذه

[1] -**معجم المعاني الجامع**:مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، دط،2000،ص450.

[2] - ينظر :ابن منظور **لسانالعرب**،ج3، ص603، مادة كلف.

[3] -طوق الحمامة:ص166.

المحبّة إلى كراهية فيقول : "ثم لم ألبث أن رأيت تلك المودة قد استحالت عداوة أفظع من النعم وأقبح من حلول النقم [1]"

فالألفاظ التي وظفها هي أسماء التفضيل أفضع ، أقبح ، أمر ، أو حش.، أقبح،أمضى،أقرب،أرسخ.....

كما اشتمل النص على جملة من الصفات و النعوت ،لأنه يريد مشاركة المسرود له في عمله الأدبي، لذا وصف وصفا تفصيليا للأحداث والشخصيات ليجذب المتلقي، ويدعوه للتفاعل معه. فعرف الشخصيات و وصفها وصفا كافيا، ووافيا ومثال ذلك قوله :" أما خبر صاحبنا أبي عدي الله محمد يحي بن محمد الحسن التميمي المعروف بابن الطبي فأنه كان رحمه الله كأنه قد خلق الحسن مثاله ،أو خلق من نفس كل من رآه لم أشهد له ،مثلا حسنا وجمالا، وخلقا وعفة وتصاونا ،وأدبا، وفهما ،وحلما، وسؤددا وطهارة وكرما "[2]

نلاحظ هذا الوصف المستفيض للشخصية، فتحدث عن جماله الخلق فوصف حسنه، بأنه أنموذج للجمال فأطلق للمسرود له العنان، ليتخيل كيفما شاء في اللاحدود للجمال، وهذا الوصف يدل على تفوق ابن حزم، وجمال أسلوبه.

ثم قدم مجموعة من النعوت التي تتعلق بأخلاقه من أدب ووفاء، وعفة وتصاون، وأدب ،ونستدل من ذكره لهذه الصفات أفضل المكارم عند الرجال التي يفتخر بها.

ويصف ابن حزم أيضا حال المحّب الذي لقي جفاء من محبوبه فيقول : " ويعرض للمحّب الاستكانة كجفاء المحبوب عليه،ومن أعراضه الجزع الشديد، والحسرة المنقطعة،تغلب عند ما يري من أعراض محبوبه عنه ،ونفاره منه وآية ذلك الزفير ، وقّلة الحركة ،وتنفس الصعداء "[3]

من هذا الخبر يبين ابن حزم حالا من أحوال المحبين، وهي أعراض المحبوب عن المحّب ،وجفائه فوصف ميل المحّب للاستكانة فاستخدام كلمة الاستكانة،التي عنت نيله للسكون كما يبن الأعراض الأخرى،كحمرة الوج،والزفير والتأوه،وهي أعراض ترى بالعين،ويمكن رصدها وملاحظتها.فابن حزم وصف ما رأه رؤية ، وحاول نقل هذه الحالة بالوصف المطول ، ليشارك المتلقي في السّرد. كذلك يصف ابن حزم علامات الحّب و حال الواقع في الحب فيقول

[1] طوق الحمامة:ص 71 .

[2]- طوق الحمامة : ص 27 .

[3]- المصدر نفسه :ص 29-30 .

:" ويعرض للصادق المودة أن يبدي بالطعام، وهو له مشته، فما هو إلا وقت ما تهتاج له ،من ذكر من يحب صار الطعام غصة، في الحلق وشجي، في المريء "[1]

نرى أن ابن حزم وصف الحالة الشعورية للمحبّ، والعلامات التي تظهر على الغارق في الحّب، وبالطبع هي علامات يدركها الفلكي، ويرصدها الذكي المراقب كالكاتب ،كذلك يوضح لنا في الخبر السابق، حال المحّب إذا يقبل على الحديث مبتهجا ،وما هي إلا لحظات ويصبح مقصّرا في حديثه. ويقول أيضا من علامات الحّبّ :"الإسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه، التعمّد للقعود بقربه ، والدّنو منه، واطّراح الأشغال الموجبة للزوال عنه ، والاستهانة بكل خطب جليل، داع إلى مفارقته، والتباطؤ في المشي عند القيام به" [2]

فهذا الوصف بناء على مشاهدة وإحصائه، لعدة حالات حتى خرج بحكم عام ،فكلامه لم يأت من فراغ ،بل من مشاهدة، و رصد، لأنه سرد أخبار حدثت بالفعل في ز منه. ويتحدث عن شخصيات حقيقية ،مرت بتجربة الحّب، وعاشت تلك المشاعر، وصدرت عنها هذه الأفعال، التي أوردها ابن حزم في كتابه.

ويصف ابن حزم حالة الرجل المحّب ،التي شهدها عند جلوسه في ركن طبيب إسرائيل، وكان بصيرا بالفراسة : "وكنت يوما بالمرية، قاعدا في دكّان اسماعيل بن يوسف الطبيب الإسرائيلي، وكان بصيرا بالفراسة ،ملّا بها ،وكنّا في لمّ ،فقال له مجاهد بن حصين القيسي: ما تقول في هذا:وأشار إلى رجل يجلس ناحية اسمه حاتم، ويكنى أبا البقاء ،فنظر إليه ساعة يسيره، ثم قال: هو رجل عاشق. فقال له :صدقت فمن أين قلت هذا ؟ قال لبهت مفرط ظاهر على وجهه "[3]

ابن حزم مخبر لأحداث وقعت ،ولم يلفق الأخبار أو يكذبها، فوصف مكان الحدث،وذكر الحديث، وذكر الشخصيات معرفا بأسمائها، ووظيفتها ،مما أضفى مصداقية على سرده .

وفي باب الواشي يقول : "وليس من نبّه غافلا ،أو نصح صديقا ،أو حفظ مسلما،أو حكي عن فاسق، أو حدث عن عدو، ما لم يكن يكذب ،ولا تعمّد الضغائن منقلا، وهل هلك الضعفاء وسقط من لا عقل له، إلا في قلة المعرفة بالناصح من النّمام، وهما صفتان متقاربتان في الظاهر متفاوتتان في الباطن ،إحداهما داء والأخرى دواء والثاقب القريحة لا يخفى عليه أمرهما ،لكن النّاقل من كان تنقيله غير مرضّي في الديانة ،ونوى به التشتيت بين

[1]– المصدر نفسه ، ص 21 .
[2]– المصدر نفسه : ص 24 .
[3]–طوق الحمامة : ص 32 .

الأولياء، والتضريب بين الاخوان، و التحريش والتوبيش والترقيش".[1] ففي النص تتجسد لنا بعض الصيغ الصرفية كاسم الفاعل، وصيغة المبالغة، كذلك أوزان الأسماء، على زنة تفعيل مثل: التحريش والتوبيش والترقيش فالفاسق، والناقل، والناصح، والثاقب، والنمّام، صيغ الصرفية، تؤكد وتحدد لنا مجموع الأفعال، والسلوكات والحالات، التي يؤول إليها المحّب عندما تتدخل مجموعة من المعارضين ، كالغدر، الواشي ،والرقيب فيحولون الاتصال إلى إنفصال، وذلك من مثل الخزن ، البكاء، الحسرة ،الكذب النميمة.

ويمكن تمثيل ذلك في :

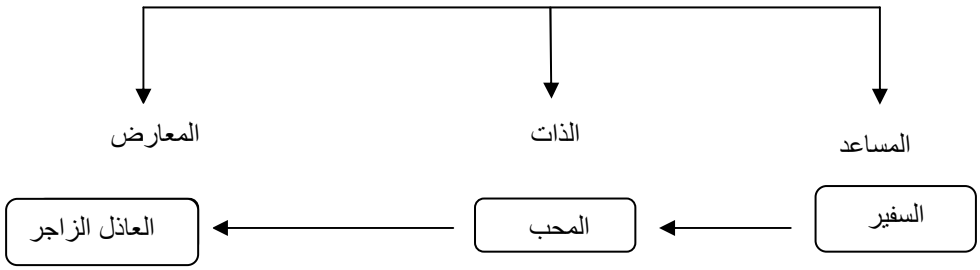

العاذل الصديق	الرقيب
المساعد من الأخوان	الواشي
التصريح بالقول	الهجر
الإشارة بالعين	العذر
المراسلة	البين

كما برع ابن حزم كذلك بوصف الأماكن والعمران إذا يقول " ولقد كانت الشوارع تخلو من السيارة ويعتمدون الخطوة، على باب داره في الشارع الآخذ من النهر الصغير ،على باب دارنا في الجانب الشرقي، بقرطبة إلى التدريب المتصل بقصر الزهراء ،وفي هذا الدّرب كانت داره رحمة الله ملاصقة لنا ،لا لشيء إلا للنظر منه، ولقد مات من محبّته جوار كنّ علقنّ أوهامهنّ به ،ووفيّن له فخانهنّ ، وقتلتهنّ الوحدة "[2]

فالوصف الفني تميز منه ما يلي :

[1]- المصدر نفسه : ص 80.

[2]- طوق الحمامة :ص 96.

- وصف دور ابن حزم .
- وصف نزهته .
- وصف جارية ألفها في الّصبا .
- وصف الأماكن والعمران .

يتجزأ الفضاء المكان في هذا النص الوصفي، إلى عدة مناطق محددة يصفها الكاتب، بشكل دوري مثل الشوارع باب داره ، النّهر ، الجانب الشّرقي بقرطبة ، الدرّب المتصّل بالقصر .

هناك كلمات مختصة لها علاقة بالموصوف ،في مستوى الخصائص والمواصفات مثل :الدار ملاصقته لدار ابن حزم الأللنظر منه ، ولقد مات من محّبته كثير من النساء .

فهذه الشبكات المعجمية تضفي على الوصف طابع الوحدة ،كما تفضي إلى إيجاد مناخ استعاري يسمح للمؤلف بتوظيف الصور مثل :(علقهنّ ، أو هامهّن ، قتلتهّن الوحدة) فهذ الاستعارات تنقل لنا رؤية ذاتية لهؤلاء الجواري ،إلى جانب أنه وصف لنا المكان وصفا دقيقا، وأعطى القارئ فكرة عن طبيعة العمران في قرطبة ،كما عرف القارئ بمكان سكنه ، كأنه يؤرخ لمدينة قرطبة، مدينته التي نشأ فيها، وأماكن مسكنه قصر الزاهرة الذي عاش فيه سنوات .

ويمكن توضيح هذه الصيغ الصرفية، التي وظّفها ابن حزم في الجدول الآتي:

الاسم	العدد	النسبة المئوية %
اسم الفاعل	280	28.01
اسم المفعول	172	17.20
صيغ المبالغة	53.45	5.34
اسم التفضيل	174	17.40
النعت (الصفة)	320	32.01
المجموع	1000.45	% 100

نستنتج من خلال هذا الجدول، توظيف الصفة بنسبة 32.01%و هي نسبة أكبر مقارنة مع النسب الاخرى، وهذا يوضح أثر البيئة الطبيعية ، في تكوين ابن حزم الفكري واتجاهه، فانه عاش في الاندلس بجبالها

الرائعة ذات المنظر البهيج، ورياضها الفيحاء، ومروجها الخضراء، فقد كانت حقا فردوسا،و كانت ريحانة الاسلام،كل شيء فيها جميل.و كان ذلك واضحا في ابن حزم،فقدكان الكاتب الاديب الذي سحر بالجمال في كل شيء في الفطرة:والكون والانسان، وبدا ذلك في أسلوبه الرقيق، وجمال تعبيره، وحسن تصويره .

* المستوى التركيبي :

إن الدراسة التركيبية ما هي إلا وصف للعلاقات الإسنادية ،التي تتحكم في مختلف الجمل، ما يلحق هذه العلاقات من متغيرات، وتبديلات،فالغاية إذن من التركيب هو إنتاج المعنى اللغوي السليم. "ويتناول هذا المستوى تركيب الخطاب،وما بين عناصرها من علاقات، وما يحكم تلك العلاقات من قواعد،والمركب هاهنا، ما تكون كلمتين أو أكثر وأصبح لهيئتهه التركيبية سمة تميزه"[1] ولابن حزم كل الحق في تشكيل الكلمات، وتوسيع المعاني ،وتجاوز المألوف، ليخرج عملا أدبيا مبتكرا، والأداة التي يستخدمها لتحقيق ذلك هي الانزياح .

*تعريف الانزياح :

الإنزياح في اللغة :"صدر الفعل الماضي إنزاح أي ذهب و تباعد" [2]

وقد عرف مفهوم الإنزياح مصطلحات عديدة، وذلك لتباين النظرة إلى مفهوم واختلافها، بناء على اختلاف الاتجاهات و التيارات . ويرى أحمد ويس أن مفهوم الأنزياح أحسن ترجمة للمصطلح الفرنسي l'ecart "[3]

وأورد عبد السلام المسدي طائفة من الاقتراحات المقدمة كتسميات ومصطلحات بديلة عنه، واضعا أمام كل واحد منها أصله الفرنسي"[4] :

مثال :

الإنزياح l'ecart لفاليري Valery

الشناعة le scandal لرولان بارت Roland Barth

الإنحراف la déviation لسبيتزر Leo Spitzer

---

[1]– عبادة إبراهيم محمد:**الجملة العربية دراسة لغوية نحوية** ، منشأة المعارف الإسكندرية ، مصر ،دط، 1988 ، ص 49 .

[2]–ينظر : ابن منظور لسان العرب ، ص 832،مادةا نزاح .

[3]–ويس أحمد:**الإنزياح في التراث النقدي والبلاغي** ،اتحاد الكتب العرب دمشق د ط ،2002 ، ص 63 .

[4]– المسدي عبد السلام :**الأسلوبية والأسلوب** ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، ط2 ، 1982 . ً 64 .

ومن أقوى المصطلحات القديمة تعبيرا عن الإنزياح العدول ، وقد ورد هذا المصطلح في أكثر كتب النقد واللغة والبلاغة مثل : كتاب الخصائص لابن جني (ت 322هـ) ومفتاح العلوم للسكاكي (ت 395 هـ) ودلائل الإعجاز للجر جاني"مصدر عدل أي مال وجار" [1] وعلاقة المعنى اللغوي مال ،بمفهوم العدول الاصطلاحي، علاقة وثيقة، لأن الميل هو ميل اللفظة عن معناها الأول،إلى المعنى الإيحائي الذي نتيجته الإنزياح .

وقد ورد عند ابن جني (ت 322 هـ) مصطلح العدول مرتبطا بمصطلح آخر، هو الاتساع وذلك من خلال حديثه عن الحقيقة والمجاز فيقول : "وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة، لمعان ثلاثة وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه" [2]

أمّا السكاكي (ت 395 هـ) فيرى العدول أسلوب ،من أساليب البلاغة العربية إذ يقول :العدول عن التصريح باب من البلاغة ،يشار إليه كثيرا ، وإن أوردت تطويلا في حكي، عن شريح": أّن رجلا أقر عنده بشيء ،ثم رجع ينكر فقال له شريح : شهد عليك ابن أخت خالك ، أثر التطويل ليعدل عن التصريح بتسمية الحماقة،إلى الفكر لكون الإنكار بعد الإقرار ، إدخالا للعنق في رقبة الكذب،لا محالة أو التهمة"[3]

"ويعزو أحد الباحثين سبب اختلاف، الأسلوبيين العرب المحدثين في ترجمة ،لى اختلاف مصادر ثقافتهم فالذين استعملوا الانزياح، اعتمدوا على ثقافة فرنسية،استنادا وترجمة ،على حين مال إلى الانحراف الذين غلب عليهم الاعتماد على المصادر الانجليزية ،فهذه لا يحوي إلا كلمة déviation وهي كلمة تناسبها ترجمة الانحراف، أما الانزياح فهو المعنى المناسب والدقيق ترجمة وصونا، للمصطلح الفرنسي l'ecart "[4]

وسوف نحاول في هذه الدراسة استقصاء أبرز مفاهيم الانزياح عند القدماء والمحدثين .

*الانزياح عند القدماء :

تحدّث الحاجظ (ت 255) عن الانزياح ولكن بمصطلح آخر سماه الغرابة إذ يقول:" إن الشيء من غيره معدنه أغرب، وكلما كان أغرب ،كان أبعد في الوهم ،وكلما كان أبعد في الوهم ،كان أطرف وكلما كان أطرف ،كان أعجب ،وكلما كان أعجب ، كان أبدع" [5]

إذن الجاحظ يشجع على تجاوز المألوف والإتيان بمعان جديدة تنير المتلقي .

---

[1]- ينظر **لسان العرب**: مادة عدل ص 753.

[2]-ابن جني أبوالفتح عثمان :**الخصائص** ، تحقيق محمد علي النجار ، بيروت ،دار الطباعة والنشر ، ط 2، دت،267 .

[3]-السكاكي ، ابن علي : **مفتاح العلوم** ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2000 ، ص 102 .

[4]- ينظر : المسدي عبد السلام المسدي ، **الأسلوبية والأسلوب** ، ص 64- 70 .

[5] - الجاحظ : عمرو بن بحر ، **البيان والتبيين** ، تحقيق ، عبد السلام هارون ، ط4 القاهرة ،1975 ، ص 90 .

كما استعمل عبد القاهر الجرجاني (ت 417) مصطلح العدول في قوله : "اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم إلى قسمين : قسم تعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النظم. فالقسم الأول : الكناية والاستعارة ، والتمثيل الكائن على حد الاستعارة ،وكل ما كان فيه على الجملة مجاز، واتساع وعدول اللفظ عن الظاهر"[1]

وقد عبّر ذلك أفضل تعبير بمفهوم باق على مر العصور، ألا وهو معنى المعنى، إذ يقول في ذلك :"الكلام على ضربين، أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إن قصدت تخبر عن زيد مثلا، بالخروج على الحقيقة فقلت (خرج زيد) وضرب آخر، أن لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ،ولكن بذلك اللفظ معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم نجد لذلك المعنى دلالة ثانية ،تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا على الكناية والاستعارة" [2].

فمن ناحية المعنى يكاد الإجماع ينعقد ،على أن الانزياح هو الخروج عن المألوف، أو ما يقتضيه الظاهر، أو هو الخروج عن المعيار،لغرض قصد إليه المتكلم ،يخدم النّص بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة .

*الانزياح عند المحدثين :

وصف رفاتير (ت 1970م) : "الانزياح بأنه يكون خرقا للقواعد حينا، ولجوءا إلى ما ندرس من الصيغ حينا آخر، فأمّا في حالته الأولى فهو من مشمولات علم البلاغة ،وأما في صورته الثانية فالبحث فيه ،من مقتضيات اللسانيات عامة والأسلوبية خاصة "[3] وتبلور مفهوم الانزياح على يد الباحث أحمد ويس: "إذ يرى أنه استعمال المبدع للغة، مفرادت وتراكيب ، وصور، استعمالا يخرج بها عما هو معتاد ، ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به، من تفرد ،وإبداع،،جذب "[4]

ولعّل هذا التعريف وضح مفهوم الانزياح من جهة، ووظيفة المبدع من جهة ثانية، أي أنه بيّ أن الانزياح هو الوصل باللغة إلى درجة الإبداع .

وقسم أحمد ويس الانزياحات إلى ثلاثة أقسام هي :

أولا : الانزياحات العروضية وتضم الضرورة الشعرية والتغيرات الصوتية .

---

[1]- الجرجاني :**دلائل الإعجاز** ، تحقيق ، محمود شاكر ، مطبعة القاهرة 1992 ، ص 329 .

[2]- المصدر نفسه : ص 268 .

[3]- ينظر : **الأسلوبية والأسلوب**، لعبد السلام المسدي ، ص 10 .

[4]-ينظر : **الانزياح في التراث النقدي والبلاغي** ، ص 05 .

ثانيا : الانزياحات التركيبية وتضم التقديم والتأخير والاتفات .

ثالثا : الانزياحات الدلالية وتضم كل أشكال المجاز (اللغوي ، العقلي والمرسل) .

بعد استعراض آراء بعض النقاد حول مفهوم الانزياح، سوف تعرض هذه الدراسة أمثلة من كتاب طوق الحمامة تتجلى فيها الانزياح ،وسوف تتناول الدراسة الانزياح التركيبي والدلالي .

لقد جرى النظام السائد لترتيب الجملة العربية ،على أن يتقدم في الجملة الفعلية الفعل على الفاعل وأن يتأخر المفعول عنها، أما الجملة الاسمية فنظامها المعتاد أن يتقدم المبتدأ ويتأخر الخبر :"أن الهدف المنشود من خلال هذا التأليف بين عناصر الجملة، هو أن يتم التوافق بين المعنى المقصود ،وكيفية التعبير عنه عن طريق قواعد النحو ،التي تراعى خلال التأليف، لكي يكون وضع علة تقتضي كونه هناك ؟ وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح "[1].

"وتبرز لنا هذه القيمة الموقعية لعناصر الجملة الواحدة، فإذا أخذنا على سبيل المثال المبتدأ وجدنا قيمة معنوية تكمن في أنه محكوم عليه ،أي أنه موضوع لكي تصدر عليه حكما معينا، أو تصفه بصفة معينة.ومن هنا فلا بد أن يكون المبتدأ معلوما لنا حتى نستطيع وصفه، أو الحكم عليه ،ولهذا اشترط النحويون في المبتدأ أن يكون معرفة أو نكرة، بها بعض التخصيص حتى يمكن تصوره ،وإطلاق صفته أو الحكم عليه "[2] .

والترتيب بين المواقع النحوية منه ما هو لازم، لا يمكن مخالفته كالترتيب ،بين الفعل والفاعل والجار والمجرور والمضاف والمضاف إليه ،فكل هذه الأنواع يكون الترتيب بينها واجبا ،وهو الشيء الذي يسمح لنا بادراك قيمة الموقع النحوي،وأثره في المعنى .

ومن الترتيب ما هو جائز يمكن مخالفته ، كالترتيب بين المبتدأ والخبر والفعل والمفعول والفاعل، وفي هذا النوع تبرز ظاهرة التقديم والتأخير ،التي نحن بصدد دراستها، حيث يوضع كل عنصر من عناصر الجملة، في الموضع الذي نستطيع من خلاله التأثير في المعنى .

*التركيب النحوي:

وفي ضوء ذلك فقد وجدنا ثمة تراكيب نحوية،يلح عليها ابن حزم كأسلوب التقديم والتأخير، وهو أسلوب مثير للمتلقي، إذ يدفعه للتفكير وإعمال الذهن، وأول صورة للتقديم تتمثل في:

[1]- ينظر: الجرجاني عبد القاهر ، **دلائل الإعجاز** ، ص 102 .

[2] - أحمد درويش،**دراسة الأسلوب بين المعاصرة التراث** ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، دط،1998 ، ص 167 .

أولا: تقدير الخبر على المبتدأ :

ومن نماذج هذه الصورة قوله : واعلم – أعزك الله – أن للحبّ على النفوس حكما ماضيا وسلطانا وقاضيا " [1]

نلاحظ تقديم الخبر "أن" للحّب على اسمها "حكما" لأن الحّب هو محور الحديث، وهو الهدف الأساسي، لتأليف الكتاب تقدم الخبر جوازا، لأنه محور المعنى والعنصر الذي يشغل ذهن المتلقي، أن للحّبّ قواعد وأصول مختلفة عن غيره من الأمور .

-وقوله أيضا : "..... أن لله فيه مراد خير " [2]

نلاحظ تقديم الخبر شبه الجملة على الاسم (مراد)

- "فإن للحكايات ونعت المحاسن ورصف الأخبار تأثير"[3]

تقديم الخبر شبه الجملة وتأخير الاسم (تأثيرا)

- "أني كان بيني وبين رجل من الأشراف ود وكيد"

تأخير المبتدأ (ود)

وقد حقق الانزياح التركيبي غرضا أسلوبيا ،تمثل في العناية والاهتمام بالمقدم، فزاده إيضاحا وتقريرا .

ثانيا : تقديم المفعول به على الفاعل:

-ومن نماذجها نجد قول ابن حزم " قد غمرتها الحجب"[4] تقديم المفعول به الضمير المتصل (الهاء) على الحجب (الفاعل) .(ولحقتها الأغراض) تقديم المفعول به وهو الضمير المتصل (الهاء) .

يعد إحساس الحب عند ابن حزم مبدأ للحياة نفسه، ولهذا نجد النفس قد غمرها الحجاب ولحقها الأغراض، وهي الحالات الانفعالية للمحبين، فلا يمكن السيطرة على هذه العاطفة ،ذلك أن المحبين يعيشون عاطفة الحب ،بمختلف عوارضهاو وآفاتها"3

-ويقول: "وافق الفضل اتصال نفساني "تقديم المفعول به (الفضل) على الفاعل (اتصال) ومن خلال ذلك يبين للإتفاق في الصفات الطبيعية ،بين المتحابين ضرورة لحدوث، الحّب وسببا رئيسيا لها، فصّح في ذلك أنه استحسان روحاني، وامتزاج نفساني .

---

[1]- طوق الحمامة:ص 42 .

[2]- المصدر نفسه : ص 179 .

[3]- المصدر نفسه:ص 34-35 .

[4]- المصدر نفسه : ص 39 .

ثالثا : تقديم الجار والمجرور:

يعتبر الجار والمجرور من العناصر الحرة داخل الجملة، حيث يمكن لهذا التركيب أن يقع أول ،أو وسط، أو آخر الجملة ، ولكن هناك من الحالات والأسباب، التي تقيد نوعا ما هذه الحرية ، وتجعلها خاضعة للسياق العام للتركيب ،ذلك أنه في كثير من الأحيان تعتبر دلالة التركيب، بتغيير موقع الجار والمجرور دون أن يؤثر ذلك في البناء النحوي السليم،ولعلّ هذه المجموعة من النماذج توضح ذلك :

-يقول ابن حزم : "ولولا أني لم أقصد في رسالتي هذه كشف الحيل وذكر المكايد ولأوردتما صح عندي أشياء تحير اللبيب أسبل الله علينا ستره"[1]

(أسبل الله علينا ستره) تقديم الجار والمجرور ،(علينا) على المفعول به (ستره) ، فالكاتب حريص على أن يضعنا أمام نماذج،وحوادث معبرة معتمدا، بشكل كبير على تجاربه الخاصة ، وتجارب آخرين عرفهم.

- ويقول أيضا "ولا بدّ لكل حبّ من سبب يكون له أصلا" [2] وأصل الكلام: (ولا بدّ لكل حّب من سبب يكون أصلا له)

نلاحظ هنا تقديم الجار والمجرور، فقدم الأخبار المسرودة بأساليب متنوعة، لكسر انتظار القارئ وإمتاعه، ويقول أيضا :" ولا يخاف عليهم سقوط في معرفتهم"[3]

-"وعني، أخبرك، أني أحببت في صباي جارية" تقديم الجار والمجرور، وأصل الكلام: (وأخبرك عني ،أني أحببت جارية في صباي،جارية شقراء، فما استحسنت من ذلك الوقت سوداء الشعر، وأما جماعة خلفاء بني مروان فكلهم ،مجبولون على تفضيل الشقرة لا يختلف في ذلك منهم مختلف."1

فهذه النماذج عبارة عن اعترافات عاشق خبر المحبة فيتعرض لتجاربه الشخصية عندما يخبرنا أنه أحب في صباه جارية شقراء، وكذلك يخبرنا عن الخلفاء الذين فضلوا المرأة الشقراء،على غيرها من النساء.

=وقد بدت حروف العطف ظاهرة أسلوبية كثيفة في الرسالة بمختلف أنواعها، ونحاول تبيانها،في ربط المفردات والجمل فيما بينها فشاعت في الاخبار التي أوردها ابن حزم كعطف الجمل الفعلية أوالاسمية على جمل فعلية أو اسمية أخرى مثل قوله :

---

[1]- طوق الحمامة : ص 37

[2]-المصدر نفسه : ص

[3]- المصدر نفسه : ص 42.

-" كنت مجتازا مقبرة باب عامر في لمة من الطلاب،وأصحاب الحديث ،ونحن نريد مجلس الشيخ أبي القاسم، ومعناه أبو بكر عبد الرحمان ،من أهل السنة"[1] .

-ويقول أيضا "ولو كان لي في بعض الزمن صديقان ،وكان أخوين فغابا في سفر، ثم قدما وقد أصابني رمد، فتأخر عن عيادتي،فكتبت إليهما والمخاطبة للأكبر منهما"[2]

وظف الكاتب في عطفه للجمل أدوات هي : الواو ، ثم ، الفاء حسب ما تقتضيه الرسالة والأغلب في هذا الربط، ورد بـ الواو وفي كل الأحوال غايته الحفاظ على ترابط النص وتماسكه .

إن أفضل طريقة لتوصيل فكرة ما في الخطاب هي طريقة الحوار الهادف، فهو يجعل المعارض يقنع بشكل سريع، و إقناع كبير وهذا ما وجدناه في هذه الأخبار وما تحويه ،من دقة في الوصف والتحليل، والنماذج الآتية تبين ذلك :

-"فقد منع ساعة ثم قال لي : أعجوبة ما سمعت قط قلت: وما ذلك ؟ قال رأيت في نومي الليلة جارية فاستيقظت، وقد ذهب قلبي، وهمت بها وبقي أيا كثيرة يزيد على الشهر،مغموما ،مهموما إلى أن عذلته وقلت له: من الخطأ العظيم أن تشغل نفسك بغير حقيقة "[3]

ويقول في خبر آخر: "أيام كوني بالمدينة وكان طويل اللسان جدا، مثقلا بالسؤال في كل فن فقال لي: إذا كره من أحب لقائي، وتجنب قربي فما أصنع ؟

قلت : أرى أن تسعى في إدخال الروح على نفسك بلقائه وإن كره ، فقال لي : لكني لا أرى ذلك، بل أوثر هواه على هواي،ومراده على مرادي ، فقلت له :إني إنما أحببته لنفسي ،ولالتذاذها بصورته فأنا أتبع قياسي، وأقود أصلي.

فقال لي : هذا الظلم من القياس أشد من الموت، ما تمنى له الموت فقلت له : إن بدا لك نفسك لم يكن اختيارا بل ،كان اضطرارا ولو أمكنك ألا تبذلها لما بذلتها .،وتركك منك أنت فيه ملوم لقاءه اختيارا،لا ضررا بنفسك و ادخالك الحتف عليها.

فقال لي : أنت رجل جدلي ولا جدل في الحب.

فقلت له : إذا كان صاحبه مؤوفا .

فقال : وأي آفة أعظم من الحّب ؟ "[1]

---

[1]- طوق الحمامة : ص 94 .

[2]-المصدر نفسه : ص 95.

[3]- المصدر نفسه : ص ، 33.

فالهدف من الحوار في هذه الأخبار، إظهار الحق وتعليم الجاهل، وإرشاد المسترشد فقد أقام الكاتب الحجة ودفع الشبهة في علاقة الرجل بالمرأة، وعندما تكون هذه العلاقة من طرف واحد فقط، فقد تراجع صديقه عن الخطأ واعترف به، عندما انتهى الحوار سؤال قائلا: وأي آفة أعظم من الحّب؟

نستخلص من هذه النصوص أن تقديم بعض الألفاظ والكلمات، في أي تركيب لغوي إنما يعكس الاهتمام بتلك الألفاظ، والتركيز عليها، وذلك بناء على الطبيعة اللغوية للمتكلم، بها وعلى قصد المتكلم من وراء ذلك، لأن التقديم والتأخير بمعنى آخر "ليس مجرد إعادة ترتيب مواقع الألفاظ، بما يخالف قوانين النحو،وقواعد الكلام ،أي أن العدول لا ينحصر في تغير مواقع اللفظ، دون الرتبة فحسب بل بتغير اللفظ شكليا، ومعنويا مكانا، ورتبة ، إذ أن تحويل بنية الجملة وتركيبها، يقتضي تحولا في الدلالة" [2]

*التركيب البلاغي :

"الشعر رسم مقروء، والرسم شعر صامت ،كما قيل الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى حقيقة معنى الشيء وهيئته وعلى معنى صفته" [3]

وهي بمفهومها الأدبي الفني خلاف مفهومها اللغوي،فهي ليست نسخة مادية،بل تركيبة وجدانية تنتمي في جوهرها الى عالم الوجدان أكثر من انتمائها الى عالم الواقع.

"فالصورة هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ، والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص، وذلك ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة،في القصيدة مستخدما طاقات اللغة، وامكاناتها في الدلالة والتركيب ،والإقناع، والحقيقية والمجاز، وغيرها من أدوات التعبير الفني" [4]

فقد أورد ابن حزم عدة تشبيهات قصد إيضاح الفكرة عند المتلقي ومن ذلك قول: "وربما كان السبب الكتمان ألا ينفر المحبوب، أو ينفر به، فأني أدري من كان محبوبه له سكنا، وجليسا ، لو باح بأقل سبب من أنه، لهواه لكان منه مناط الثريا ،قد تعّلت نجومها ، وهذا ضرب من السياسية"[5]

– وضّحت هذه الألفاظ المراد الذي يشير له ابن حزم، فيحدث عن سبب كتمان الحّب، وهو الخوف من نفور المحبوب،أو تعاليه فشبّه ابن حزم تعالي المحبوب،بعلّو نجوم السماء.

---

[1]– طوق الحمامة:ص 65 .

[2]– رماني إبراهيم :**الغموض في الشعر العربي الحديث**، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر ، 1991 ، ص 201 .

[3]– ينظر :ابن منظور ، **لسان العرب** ، ص 23–25 .

[4]– زكية خليفة مسعود :**الصورة الشعرية في شعر ابن المعتز** ، منشورات جامعة بنغازي ، ليبيا ، ط1 ، 9 199 ، ص 22.

[5]– طوق الحمامة : ص 56 .

كذلك من جماليات التشبيه رحلته إلى البستان فيقول: "تلاحظنا الشمس من بينها فتصور بين أيدينا، كرقاع الشطرنج، الثياب المدبجة، ماء عذب يوجدك حقيقة طعم الحياة،وأنها متدفقة تنساب ،كبطون الحيات "[1]

-يصف ابن حزم رحلته إلى البستان، فيشبه أشعة الشمس من خلال أفنان الأشجار،على الأيدي كرقاع ،الشطرنج تارة بيضاء من الأشعة،وتارة سوداء من الظل،كذلك بشبه تدفق الأنهار ببطون الحيات ،في انسيابها فنلاحظ قدرة ابن حزم على الإتيان بتشبيهات مميزة وغير مألوفة .

-ومن أمثلة ذلك قوله في قبح المعصية " والصالحان من الرجال والنساء ، كالنار الكامنة في الرماد ،لا تحرق من جاورها إلا بأن تحرك"[2] فابن حزم عقد مماثلة بين الاثنين ، صلاح الرجل والمرأة ،كالنار الكامنة قد جعلها وسيلةتوضيح صفة الصلاح ،هذا كان التشبيه أول طريقة ،تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى .

-يتذكر ابن حزم الأيام السعيدة التي كان يعيشها في بلاط والده الوزير حيث يقول في وصف جارية كانت تعيش معه في البلاط : "وما كدت أميزها حتى قيل لي هذه فلانة ،وقد تغير أكثر محاسنها ،وذهبت نظارتها وفنيت تلك ، ذلك الماء الذي كان يري كالسيف الصقيل،والمرآة الهندية ... وإنما النساء رياحين متى لم تتعاهده نقصت"[3]

-يسترجع ابن حزم الذكريات السابقة التي عاشها، وكانت أيام سعادة وهناء ،ثم تحولت بفعل الظروف السياسية ،فخرج من قرطبة ثم عاد إليها بعد ستة أعوام، فرأى تلك الفتاة التي علق بها قد ذهب جمالها ،وحسنها فتغيرت وتبدلت أحوالها، فشبه بياض وجهها كالسيف الصقيل، كما شبه النساء بالرياحين، فحدف الأداة ووجه الشبه ،ا أشبه هذا الضرب من المعاني بالجوهر في الصدف لا يبرز إلا أن تشقه .

وقد اهتم أهل الأدب والنقد ،الاستعارة اهتماما شديدا، فحظيت بالعناية والدراسة ،وتعد الاستعارة شكلا من أشكال الانزياح ،فهي آلية من آليات التشكيل الجمالي لدى المبدع ،تظهر في توظيف اللفظ الواحد بمعان مختلفة وهي عامل أساس في تطوير اللغة وإثرائها ،اذتنقل اللفظة من المعنى الحقيقي، إلى المعنى المجازي، تكتسيها خلال وجودها في السياقات المختلفة ، والانزياحات المتنوعة .

يقول أرسطو في كتابه فن الشعر: "و لكن أعظم هذه الأساليب حقا هو أسلوب الاستعارة، فإن هذا الأسلوب وحده هو آية الموهبة فإن إحكام الاستعارة معناه البصر بوجوه التشابه"[4]

---

[1]- المصدر نفسه : ص:57.

[2]- المصدر نفسه:ص 156.

[3]-طوق الحمامة :ص 141.

[4] -عياد شكري : **فن الشعر لأرسطوا طاليس** ، دار الكتاب العربي القاهرة ، دط، 1967، ص 116.

فأرسطو يعلي من شأن الاستعارة،ويعدها الأسلوب الوحيد الذي يميز المبدع عن غيره، وقد بحث أرسطو مفهوم الاستعارة في كتابه فن الشعر

أما الجاحظ (ت 255هـ) فقد تحدث"عنها في محبته عن المحاور النفسية، وهي تسمية الشيء باسم غيره، إذا قام مقامه"[1]

-ومن النماذج قوله في باب قبح المعصية " ولقد ضمني المبيت ليلة في بعض الِزمان عن امرأة من بعض معارفي مشهورة بالصلاح والخير، معها جارية من بعض قرابتها من اللاتي قد ضمتها معي النشأة في الصبا،ثم غبت عنها أعواما كثيرة ، وكنت تركتها حين أعصرت،ووجدتها قد جرى على وجهها ماء الشباب،ففاض وانساب وتفرجت عليها ينابيع الملاحة فترددت وتحيرت، وطلعت في سماء وجهها نجوم الحسن، فأشرقت وتوقدت وانبعث في خديها أزاهير الجمال، قتمت .فبت عندها ثلاث ليال متوالي، ولم تحجب عني على جاري العادة في التربية ،فلعمري لقد كان قلبي أن يصبو ويثوب إليه،مرفوض الهوى ولقد امتنعت بعد ذلك ،من دخول تلك الدار خوفا على قلبي، أن يزدهيه الاستحسان ."[2]

-هذا النموذج يحمل اعتراف ابن حزم أثناء لقائه بتلك الجارية التي تربى معها في القصر ، فصورها أبهى تصوير فماء الشباب فاض،وانساب كما تفجرت عليها ينابيع الملاحة ،استعار لفظة تفجر ،كما طلعت في سماء وجهها نجوم الحسن ، فأشرقت مثل الشمس، وتوقدت مثل النار، فقد حلق بنا إلى سماء الخيال ،بتوظيف الاستعارة البديعة التي تأخذ بمجاميع الأفئدة، وتملك على القارئ والسامع لبّهما وعواطفهما .

فهذا التعريف يشير إلى دور الاستعارة ، في توليد معان جديدة ،وتنوع الدلالة مما ترك أثرا مميزا في المتلقي، وابن حزم الأندلسي استخدم الاستعارة استخداما جذابا ،ما سيرد في الأمثلة الآتية إذا يقول :" و هذه العلامات تكون قبل استعارنارالحب وتأجج حريقه،وتوقد شعلته ، واستطارة لهبه " [3]

هنا يتحدث عن الحب شغله الشاغل ،فبين أن الحب علامات أولية، ولكن بعد ذلك يصبح للحب نار حارقة بكل معنى الكلمة ، واستخدامه الأفعال (استعار ،تأجج) بين أن هذه النار وصلت لأعلى درجة من الاشتعال ووصفها وصفا دقيقا، بطل عناصرها من شعلة ولهب، فكان الاستعارة قيمة تأثيرية في المتلقي .

[1]- ينظر: البيان والتبيين للجاحظ ، ص 125.
[2]- طوق الحمامة، ص :86
[3]-المصدر نفسه: ص 25 .

واللافت للنظر أن ابن حزم بحديثه هذا ، ينفر ولا يحدر من الوقوع في الحب ،بل يختم حديثه هذابسرد تجربته الخاصة في الحّب ، ليبين أن هذه الأعراض قد مّر بها، وأن هذا الحديث نابع من تجربة حقيقية ،بل يرى أن الخضوع لسلطان الحبّ ،ليس عيبا أو أمرا منكرا ،مما يدخل الطمأنينة في قلب المتلقي .

وفي حديثه عن الفراق الذي أفرد له بابا أسماه باب البين وردت استعارات لافتة مِؤثرة في المتلقي ومن ذلك قوله "وإنها ساعة ترق القلوب القاسية ،وتلين الأفئدة الغلاظ ،وإن حركة الرأس، وإدمان النظر، والزفرة، بعد الوادع لهاتكة حجاب القلب، وموصلة إليه من الجزع، بمقدار ما تفعل حركة الوجد،في ضد هذا " [1]

هنا بين أن لهذه الساعة قدرة عجيبة، ونافذة، فالقلوب القاسية ترق، والأفئدة الغليظة تلين، فوصف القلوب قبل ساعة الفراق بالقاسية كقسوة الصخر، أو الحجر،لكنها ترق عند الفراق ،كذلك الأفئدة وصفها بالغلظة قبل الفراق،وهوو صف شديد الوقع على النفس .

وكلمة (غليظة) ثقيلة على السمع مع ذلك يحدث التحول من النقيض إلى النقيض فقط في ساعة الفراق.

ساعة الفراق

القلوب القاسية ⟵ ترق

الأفئدة الغليظة ⟵ تلين

هذه الاستعارات وما تحمله من أضداد بين الغلظة × اللين ، القسوة × الرقة تجذب المتلقي، وترسخ سلطة ساعة الفراق، وقدرتها على تغيير الأحوال ،من النقيض إلى النقيض. فالاستعارة في جوهرها خرق للغةالعادية إذا أدت إلى تفتيق المعنى ، وتوسيعه،وهذا ما جرى في كتاب طوق الحمامة، والامثلة الورادة في هذا البحث تؤكد ذلك .

كما اشتمل النص على الكناية التي تعبر عن الأساليب البلاغية ،التي تحتاج إلى مشاركة فاعلة،من المتلقي لأن المعنى المقصود غير مصرح به، لذا على القارئ مشاركة المبدع ،والتوصل للمعنى الثاني أي معنى المعنى.

وقد عرف الجرجاني الكناية في كتابه دلائل الإعجاز فقال: "المراد بالكناية أن يورده المتكلم ،إثبات معنى من المعاني فلا يذكر باللفظ الموصفة في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه، ورده في الوجود فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه." [2]

[1]-المصدر نفسه: ص 113.

[2]- الجرجاني عبد القاهر :**دلائل الإعجاز** ، أحمد ضيف ، دار المعارف القاهرة، دط،1985 ، ص 66 .

وابن حزم أدرك أهمية الكناية والقيمة التي تضيفه للنص، لذا استخدم الكناية في كتابه استخداما ذكيا وفيه دعوة للمتلقي للمشاركة،في فهم ما وراء المعنى فيقول :" وإني أعرف من أهل قرطبة من أنباء الكتب وجله ...من اسمه أحمد بن فتح كنت أعهده كثير التعاون ،من بغاة العلم،وطلاب الأدب ،يبز أصحابه في الأنقياض ويفوقهم في السرعة، لا ينظر إلى في حلقة فضل، ولا يرى إلا في محفل مرضي ....ثم أبعدت الأقدار داري عن داره،فأول خبر طرأ علي بعد نزولي شاطبة، أنه خلع عذاره في حبّ فتى من أبناء الفانين يسمى إبراهيم بن محمد، أعرفه وصح عندي أنه كشف رأسه، وأبدى وجهه ،ورمى رسنه، وخسر محياه"[1]

-ذكر ابن حزم أخلاق هذا الفتى وصفته الكريمة، بعد ذلك يذكر وقوع هذا الفتى بحب غلام،وهو أمر مستنكر دينيا واجتماعيا، لذا عبر ابن حزم عن انتهاك هذا الفتى للضوابط الاجتماعية ،بكشف الرأس،وإلا فكشف الرأس ليس عيبا ولكنه ،كناية عن مجاهرة الفتى بالرذيلة .

واستخدام ابن حزم لهذه الكناية،نرى فيه براعة لأنه عبر عن إذاعة المنكر أي حب الفتى، بالكشف ضد الستر فصور حالة الفتى عند الوقوع في هذا الحب المشؤوم،بمن كشف الرأس، وتمرد على العرف الاجتماعي .

-وقد استخدم الكناية أيضا في وصف لجارية حيث يقول : "وعني أخبرك أني أحببت في صباي جارية شقراء الشعر، فما استحسنت من ذلك الوقت سوداء الشعر ،وكانت في ذلك الوقت بنت ستة عشر عاما ، وكانت غاية في حسن وجهها، وعقلها، وعفافها ،وطهارتها، ومتناتها،عديمة الهزل ،منيعة البدل، بديعة البشر،مسبلة الستر "[2]

فمسبلة الستر كناية عن العفاف ،منيعة البذل كناية عن الصون، فهي فتاة مصونة لا تجعل من نفسها سلعة، بل هي صعبة المنال ،فابن حزم عّبر عن معان جميلة من خلال الكناية، فنلاحظ الانزياح المستخدم من خلال الكناية.

***المستوى الدلالي semantics** " ويقصد مستوى التحليل الدلالي هنا إلى مكونات معنى الخطاب و وصفها وصفا علميا، اعتمادا على نظرية السياقcontext التي قامت في الأصل على ما كان يطلق عليه العالم الأنتربولوجي مالينوفسكي، سياق الحال"

"[1]context of situation

[1]- طوق الحمامة :ص 59 .

[2]- المصدر نفسه:ص 43 .

تطورت هذه النظرية وأصبحت تركز على أمرين، أولهما مراعاة المقام، أو المعنى المقامي، أو السياق الخارجي أو المواقف الخارجية المصاحبة للأداء اللغوي، انطلاقا من النظر إلى الجملة بوصفها، وحدة اتصال في الموقف الخارجي للسياق، وثانيهما مراعاة السياق اللغوي للجملة"[2]

أما فيما يتعلق بالسياق اللغوي للخطاب أو المعنى المقالي، فإنه يمكن الإشارة بدء على أن الأخبار الواردة في كتاب طوق الحمامة تنقسم دلاليا: إلى خمسة أقسام رئيسية هي : المستوى الفلسفي ، التاريخي ، الاجتماعي ، الديني ، النفسي .

فهذه الحقول الدلالية ليست متساوية، إذ يحتل الحقل الديني المرتبة الأول، متبوعا بالحقل النفسي، ثم الفلسفي والتاريخي ،وأخيرا الحقل الاجتماعي، ويمكن أن نفسر هذه التراتبية لتكوينه الإسلامي ، وتشبعه بالثقافة الإسلامية يعتبر من كبار علماء عصره، ولا غرابة في ذلك فله تصنيفات كثيرة في مجال التأليف الديني .

الحقل الديني:يسرد المؤلف عدة قصص ، وذلك حين تخرج الأمور عن السيطرة، وتغلب النفس العقل، فتحدث الفواحش وترتكب الذنوب، إذ أن الله تعالى لم يحل الجماع إلا إذا كان هناك زواج، وماعدا ذلك فهو زنا فالزاني والزانية في النار، فقد ذهب ابن حزم في نهاية رسالته إلى أن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه ،هو التعفف وترك المعصية وعدم العصيان .

-الحقل النفسي أو الذاتي: حيث تناول ابن حزم بالبحث والدرس عاطفة الحب الإنسانية،على قاعدة تعتمد على شيء من التحليل النفسي من خلال الملاحظة والتجربة ،فقد كان لطبيعة ابن حزم وتنشئته الاجتماعية في كنف النساء ما ساعده على سبر أغوار المرأة، ومعرفة كثير من مناحيها النفسية ،وقصص الكتاب بعضها، وقع لابن حزم نفسه ،وبعضها نقلها عن الآخرين .

فنجد في هذا الكتاب يعبر عن عواطفها سلبية ، كالهلع ، والجزع ،والحزن، والسلو التي تعتري الذات العاطفية بعد تحولها من حالة إيجابية (الحّب) إلى حالة سلبية (لا حّب) ولعّل هذه التجارب هي التي عجلت ابن حزم يصر قائلا" " الموت عندي أسهل الفراق"[3] وهناك الحقل الدلالي للعلاقات العاطفية التي يقسمها إلى قسمين : الوصل ،

---

[1]- ينظر:خليل حلمي ، **مقدمة لدراسة علم اللغة** ، ص 338 .

[2]-البركاوي عبد الفتاح عبد العليم :**دراسات في دلالات الألفاظ والمعاجم اللغوية** ، القاهرة ، ط2 ، 2003 ، ص 54 -56 .

[3] ينظر : طوق الحمامة ، ص 146 .

الوفاء ، القنوع ، ويقابلها بل يأتي معاكسا لها : الهجر ، الموت ، الغدر ، البين ، السلو ، الضنى ، ويمكن تمثيل ذلك :

ما قبل الحب	أثناء الحب	ما بعد الحب
ماهية الحب وعلله المتمثلة في اتفاق الصفات الطبيعية والذاتية .	أخبار تصف الحالات الإنفعالية للمحبين ،وهم يعيشون عاطفة الحب ،كالسفير ،المراسلة،البين وطي السر .	الأخبار التي تحمل في طياتها الحالات التي تؤول إليها قصص الحب وما أسفرت عليه ،كالوصل وقبح المعصية .

فيقول : و"كثير من الناس يطيعون أنفسهم ويعصون عقولهم ويتبعون أهوائهم ويرفضون أديانهم ويجتنبون ما حضّ الله تعالى ورتبه في الألباب السليمة،من العفة ،وترك المعاصي ،ومقارعة الهوى ،ويخالفون الله ربهم ويوافقون إبليس ،فيما يحبه من الشهوة "[1]

نلاحظ من خلال هذا الرجل، الفقيه الورع ،الذي يحكم الدين في كل شيء، فقد اعتمد على ملاحظة الواقع وتحليل تجارب معاصريه، التي فرضت عليه أن يكون صريحا مع نفسه والآخرين.فهو يلبس ثوب الفقيه الورع الداعي إلى الابتعاد عن الشهوات، والتسلح بالعفة، ومجاهدة النفس، وعدم الاستسلام لمغرياتها إلا بموافقة مبادئ الدين .وما هذه الاخبار التي سردها،الا دراسة عميقة للنواميس النفسية،و انه بقوة احساسه استطاع أن يسجل صنوف المحبين،وألوان الحّب.

وفي باب فضل التعفف يقول : "ولقد حدثتني امرأة أثق بها أنها علقت فتى مثلها ،في الحسن وعلقته، وشاع القول عليهما، فاجتمعا يوما خاليين فقال :" هلمي نحقق ما يقال فينا فقالت :لا والله إلا كان هذا أبدا وأنا أقرأ قول الله: (الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ) الزخرف الآية 67 .قالت : فما مضى قليل، حتى اجتمعا في حلال" [2]

-من خلال هذا الخبر نرى أن كتاب طوق الحمامة يدعو إلى الحب العذري العفيف، الذي يكسر شهوة النفس ويفتح بابا من الجهاد النفسي ،يؤدي لسعادة الدنيا و الآخرة حسب تصوره .

[1]- طوق الحمامة :ص 153 .

[2]- المصدر نفسه:ص 177 .

ويحتل الحق الديني المرتبة الأولى كماذكرنا، وابن حزم حاله حال الأدباء، وظّف **التناص** في كتابه . ويعرفه الكاتب أحمد الزعبي : "**التناص** أن يتضمن نص أدبي ما نصوصا ،أو أفكارا سابقة عليه، عن طريق الاقتباس، أو التضمين، أو التلميح، أو الإشارة أو ما شابه ذلك، من المقروء الثقافي،لدى الأديب بحيث تندمج هذه النصوص، أو الأفكار، مع النص الأصلي وتنعدم فيه، ليشكل نصا جديدا واحدا متكاملا"[1]

إذن مفهوم التناص يحوي : التضمين والاقتباس والاستشهاد وغيرها من المصطلحات التي وردت في الأدب العربي القديم .

-كذلك استشهد بقوله تعالى في سورة الكهف :" وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَ أَحْصَاهَا "[2] فنرى أن ابن حزم أكثر من إيراد الآيات التي تتحدث عن يوم القيامة،وعن الحساب تحديدا هدف التذكير بقبح المعصية .

كما تبين الدراسة أن عشق الغلمان كان منتشرا في المجتمع الأندلسي، وابن حزم الفقيه المجادل ،لم يرض بمثل هذا فنجده يذكر في كتابه : "أما فعل قوم ،شنيع بشع" فوصف العمل بصفتين :شنيع ،بشع رامزا إلى تحديد قبح العصية ،ثم يواصل فيقول :".... إن إبراهيم بن يسار النظام رأس المعتزلة ،مع علو طبقته في الكلام وتمكنه وتحكمه في المعرفة ،تسبب إلى ما حرم الله عليه من فتى نصراني عشقه ،بأن وضع له كتابا في تفضيل التثليث على التوحيد، فيا غوثاه يا رب، من توالج الشيطان ، ووقوع الخذلان[3] كذلك يورد آية قرآنية تتحدث عن قوم لوط في قوله تعالى:" أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ"[4]

لم يقل ابن حزم ولم يوضح موقفه من هذا الفعل الشنيع ،الذي كان منتشرا في عصره، بل لجأ للتناص ليوضح قبح المعصية، وموقف الدين منها،ويرى أن تأثير هذا الأسلوب أكبر في النفس،فذكر الآيات القرآنية التي تتحدث عن قوم لوط ،وذكر عقاب فاعل المعصية ،كفيل بالترهيب من هذا الفعل الشنيع .

---

[1]- الزعبي أحمد:**التناص نظريا وتطبيقيا** ، مؤسسة عمون الأردن ، عمان ، دط، 2000، ص 11 .

[2]- سورة الكهف الآية 49 .

[3]- طوق الحمامة :ص 162 .

[4]- سورة الأعراف الآية 80 .

يتبين للقارئ حرص ابن حزم على بلاده، لذا قدم نقدا اجتماعيا في ثنايا الكتاب ،فلجأ للرمز في حديثه عن مجالس الملوك والخلفاء، فمن المعاني التي قصتها سيطرة الوزراء على الحكم ،وغياب دور الخلفاء،وهذا موجود في القول الآتي: "و لقد وطئت بساط الخلفاء،وشاهدت محاضر الملوك ،فما رأيت هيبة تعدل محبّ له ".نرى ابن حزم ينتقد سياسة الدولة في تلك الفترة، فمن كلامه أن هيبة الخليفة لم تكن متمكنة في قلوب الناس،كذلك التحكم بأمور الدولة كان بيد الوزراء ،إذا الخلفاء مجرد واجهة أمام الناس، والكلمة الفصل للوزير ،فابن حزم ينتقد ذلك وينبه الخلفاء والملوك ،ولكن بأسلوب شيق يرمز إلى إيقاض العقل للتوصل للمعنى،المنشود. وكثر استخدام ابن حزم للمفردات الدينية على سبيل المثال لا الحصر مثل : البعث ، الحساب ، دار الجزاء ، الخلود ، أهوال يوم الحشر .

كما استشهد بالأحاديث النبوية مثل قوله : "حدثنا الهمذاني عن أبي اسحاق البلخي ،وابن سيبويه،عن محمد بن يوسف ،ن محمد بن إسماعيل"قال : "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"[1]

نلاحظ هنا حرص ابن حزم على إيراد السند،وهذا ناتج من كونه يروي الأحاديث ، واستخدامه للتناص يظهر سعة حفظه لآيات القرآن، وفهمه لمضمون الآية كما نجده ملّما، بالأحاديث النبوية .

وقد استعان في سرده بأقوال الحكماء والأمثال العربية، فقد إتكأ عل المخزون الثقافي، ونهل منه فيروي عن بعض الحكماء قال: "آخ من شئت واجتنب ثلاثة : الأحمق يريد أن ينفعك فيضرك ،والملول فإنه أوثق ما يكون به"[2]. وسمع أحد الحكماء يقول: "الفراق أخو الموت فقال : بل الموت أخو الفراق"[3].كما نجد في ثنايا كتاب طوق الحمامة الكثير من التناص كالأمثال العربية، ومن ذلك وصفه لمودة امرأة (أصفى من الماء) [4] مأخوذة من قول العرب (أصفى من ماء المفاصل)[5] . التي مثلها القصة السابقة حيث يقول في باب المساعد من الأخوان الذي يشترط فيه أن يكون صديقا مخلصا،لطيف القول، بسيط الطول، حسن المأخذ ،دقيق المنفذ ،متمكن البيان مرهف اللسان ، جليل الحكم ،واسع العلم، قليل المخالفة، عظيم المساعفة ،شديد الاحتمال صابرا على الإذلال "[6].ففي عملية التكثيف يجسد الكاتب ما يزيد على خمسين جملة في الشروط، التي يجب أن تتوافر في هذا المساعد فهو يقوم

[1]–طوق الحمامة : ص 168 .

[2]–المصدر نفسه : ص 105 .

[3]– المصدر نفسه : ص 109 .

[4]– المصدر نفسه : ص 165 .

[5]– ضيف شوقي :**تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ج1** ، دار المعارف بمصر ، ط6 ، 1963 ، ص 115 .

[6]– ينظر : طوق الحمامة ، ص 68.

بتصوير الشخصية المحورية تصويرا دقيقا، وغايته من ذلك إبراز المفارقة القائمة، بين حال المساعد وحال الواشي .ومن هنا نستنتج محاولة ابن حزم في الإجابة عن معظم التساؤلات التي يمكن أن تتبادر إلى الذهن حول موضوع الحب وذلك : ما هو الحّب ؟

وما هي أنواعه؟ كيف نقع في الحّب ؟ ما هي آفاته ؟ لماذا يكون الحب في بعض الأحيان غير متبادل؟ ولا شك أن محاولته تلك قد أهلته لاحتلال مرتبة الصدارة بين المؤلفين الذين حاولوا تفصيل القول في عاطفة إنسانية لطالما وصفها ،أهل العلم بالتعقيد، والغرابة واستحالة الوصول، إلى كنهها ويمكن تمثيل ذلك :

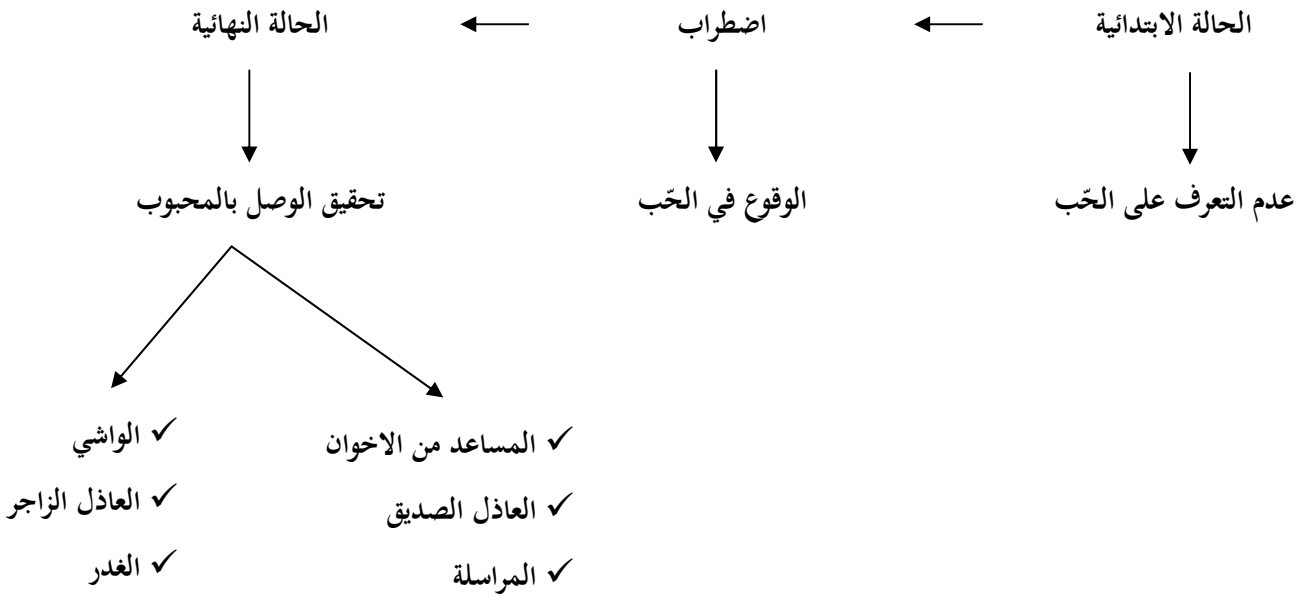

الحقل التاريخي: احتل الحقل التاريخي جانبا كبيرا من جوانب الدراسة، من خلال حكايات سمعها ابن حزم ،أو أشعارا ألفها فحلل ذلك الحكي تحليلا سرديا، واستخرج الشخصيات الفاعلة فيه، وجعل لكل شخصية أبوابا يوضح فيها مفهومها، ودورها بالنسبة للمحّب. فقد تغير المجتمع بسبب تلك الظروف السياسية، فأهل الأندلس كانوا يعيشون بين مد وجزر، في فترات مختلفة في دعة من العيش، غير أنها مرت عليهم فترات غير آمنة نتيجة للحروب مع المسيحيين ،فكان عصر ابن حزم هو عصر الاضطراب السياسي،فهو عصر انهاء دولة وابتداء دولة أخرى،و الناس بينهما في مضطرب من الافكار والمنازع.

ففي باب الموت يذكر لنا الحوادث التاريخية التي تعرض لها ، إثر غزو البربر فيقول : "وكنت أنا و أستاذي يزيد الأزدي، ألفين لا نفترق وخدنين، لا يجري الماء بيننا إلا صفاء،إلى أن ألقت الفتنة مجرابها ،وأرخت عزاليها ووقع انتهاب جند البربر ،منازلنا في الجانب الغربي بقرطبة ،ونزولهم فيها "1

ويقول أيضا : "...فكنا على ذلك إلى أن انقطعت دولة بني مروان ، وقتل سليمان الظاهر أمير المؤمنين،وظهرت دولة الطالبية، وبويع علي بن حمود الحسني،المسمى بالناصر،بالخلافة وتغلب على قرطبة ، تمكلها واستمر في قتاله إياها لجيوش الثوار "2

فنعرف من خلال هذا الخبر ما مر بالأندلس من نكبات، وما اعترى قرطبة من أزمات،ونقف على أسماء الكثير من الأمراء المتنازعين ،والخلفاء المتصارعين . فابن حزم عاش تجربة سياسية لها سلبياتها، التي وضحت له بعض عناصر الفكر السياسي الفاسد،بالإضافة إلى ذلك نجده في هذه الأخبار مؤرخا، للحب و لأحداث الأندلس بحلوها ومرها، ولم يترك من ذلك شيئا إلا أحصاه عدا .وما كتاب طوق الحمامة إلا تمثيلا صادقا لم لحق الأندلس من خراب، وشتات بعد ما كانت ،جنةا لله في أرضه ولذا سميت الفردوس المفقود، وهكذا يمكن أن تقرأ في النهاية حلقتين للتقابل والتضاد في بنية الصراع داخل كتاب طوق الحمامة وهي :

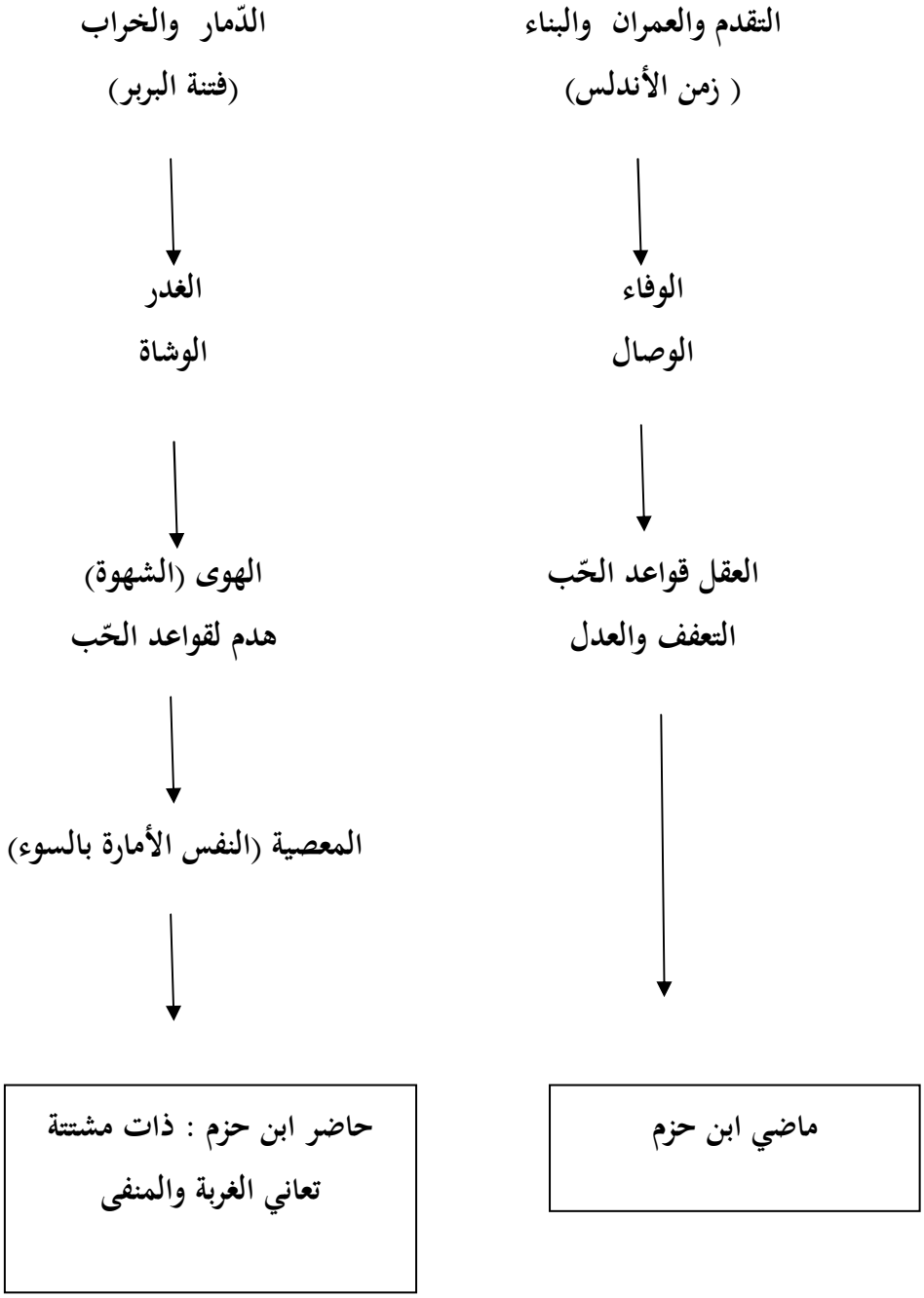

الحقل الاجتماعي: ان الحقل الاجتماعي يقدم لنا جانبا من جوانب الحياة الاجتماعية، لأهل الأندلس في قرطبة كما احتلت المرأة في الأندلس منزلة عظيمة ،ونالت حظا وافرا من التعليم، ونبغت في العلوم والآداب،فرسالة طوق الحمامة ،مادة الدراسة فيها المجتمع الاندلسي، و كثيرا ما يرويه من حوادث ذلك المجتمع،فيذكر القصة التي يقررها ،و يذكر معها وقائع تؤيدها ،و تشهد لها.و كان لذلك المجتمع أثره في تفكيره،فقد اتخذه مادة للدراسة والتحليل، و الكتاب مملوء بنتائج دراساته النفسية، لذلك المجتمع الذي كان يعّج بالعناصر المختلفة والمنازعات المتباينة،و المظاهر

المتضاربة . و لم يظلم ابن حزم المراة، أو يحملها المسؤو لية الاجتماعية عند الخطأ وحدها،أو ينتظر منها فوق طاقتها،بل انه يحدد معنى الصّلاح لدى الرّجل و المرأة معا.

الحقل الفلسفي: ان ابن حزم من المعنيين بفلسفة الأوائل، وقد تأثر بفكر أفلاطون و أرسطو ، وقد قدم أعمق دراسة في علم الأديان، فقد أخذ من الفلاسفة اليونان نظرية المعرفة، القائمة على مفهوم الترابط ،فالسلوك سلسلة متصلة من العمليات ، كالحفظ والتذكر وتكوين العادات .

ففي باب ماهية الحّب يتحدث عن مبدأ المشاكلة أو، الاتفاق في الصفات الطبيعية، بين المتحابين ضرورة لحدوث الحبّ، وسببا رئيسيا لها حيث يقول :" كلما كثرت الأشباه زادت المجانسة وتأكدت المودة "[1]فمن بين النظريات التي حاولت الإجابة عن ماهية الحّب، نظرية المشاكلة الطبيعية التي قال بها الكثيرون من الفلاسفة ،منهم أفلاطون وأبو قراط، وكذلك الفقهاء منهم ابن داود الأصفهاني في كتابه الزهرة، حيث أرجع ابن داود الوقوع في الحّب إلى ثلاثة عوامل هي: العامل الميتافيزيقي ، والعامل الفلكي، والعامل العلمي .

ونعني المشاكلة : الموافقة وتشاكل الشيئان كل واحد منهما ، الآخر صاحبه ، والشكل المثل ،ويقال هذا من شكل هذا أي من ضربه ، ونحوه وهذا أشكل بهذا ، أي أشبهه" [2].إلى جانب هذه الدلالات المذكورة آنفا،لا ننس قضية الإسناد التي وجدناها في المدونة ، فقد إلتزم ابن حزم في سرده الأخبار ببيان السند،وتكاد تكون هذه التسمية البارز في أخباره ،ولعّل السبب في هذا يعود لكونه محدثا بالدرجة الأولى، لذا كان حريصا على إظهار السند ،كذلك أضفى ذكر السند على الكتابة سمة الصدق، فهو يروي أخبارا حدثت في ذلك الزمن، وثقافته الدينية انعكست على أسلوبه في رواية الأخبار،فلم يرو خبرا إلا وبين لهذا الخبر. ومن أمثلة ذلك قوله :" أدركت بيت زكريا يحي التميمي، المعروف بابن البرطال وعمها كان قاضي الجماعة بقرطبة،محمد بن يحي وأخوه الوزير....."[3] . يخبر ابن حزم عن خبر علمه وادراكه، ويدّل على ذلك ،بالتعريف بالمرأة وأخيها،فابن حزم يثبت صحة الخبر من خلال ذكر الأفراد ، والتعريف بهم ،وهذا الأسلوب يعّرف المتلقي بالشخصيات، من جهة ويؤّرخ لها من جهة أخرى.

لم يرو الكاتب الأخبار كلها بناء على مشاهدته، إنما روى أخبارا بناء على ما سمعه ،من الثقات فقد سمع ابن حزم بعض الأخبار، و أوردها مثل قوله : "ولقد حدثني ثقة من إخواني جليل من أهل البيوتات ،أنه كان علق في صباه

[1]– المصدر نفسه:ص 20 .

[2]– ينظر:ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل ، **لسان العرب** ، ص 310 .

[3]–طوق الحمامة:ص 86 .

جارية كانت في بعض دور أهله"[1] .وقوله :"ولقد حدثتني إمرأة أثق بها أنها رأت في دار محمد بن أحمد بن وهب المعروف بابن الركيزة من ولد بدار الداخل مع الإمام ...." [2]

واستخدام الاسناد في كتاب طوق الحمامة أضفى عليه مصداقية، وعزز الثقة في نفس المتلقي، لأنه يعلمنا أن هذه الأخبار حدثت بالفعل، وأن نصائح ابن حزم وتحليلاته لم تأت من فراغ، بل من مشاهداته على أرض الواقع فهذا ما ميز ،كتابه من خلال روايته للأخبار الموثوقة . فمنذالبداية نشعر أن صيغة الخطاب تحيل باستمرار على الذات الساردة،بما هي مرجع للحكم،والتشخيص، والاستدلال

كما روى ابن حزم أخبارا عن نفسه، وتحدث عن تجربته فيقول : "وإني أحببت في صباي جارية لي شقراء الشعر فما استحسنت من ذلك الوقت ،سوداء الشعر ..." [3] فنرى أن حديث ابن حزم عن نفسه، وعن تجربته بالحبّ جعل القارئ على يقين، أن هذا الكتاب مستمد من البيئة الأندلسية ،ويمكن الاستعانة به وأخذ العظة ،من التجارب الواردة فيه ،فهذا الأخير قيّم بالتجارب التي ينقلها الاعتراف .

[1] المصدر نفسه ، ص 87 .
[2] المصدر نفسه ، ص 103 .
[3] طوق الحمامة ص 43.

المبحث الثاني:دراسة الأشعار

1_ مفهوم الصورة الفنية:

"الصورة الفنية هي القوّة الخالقة التي يسجّل بها,الشاعر رؤية و موقفاً موحدا من جزئيات الوجود"[1].

"و الشاعر في تجربته هذه يُفتتُ أشياء الوجود الواقعة,يفقدها وحدّة تماسكها البنائي في منطق الزمان و المكان,يبقى على صفاتها الأساسية يتخذها منطقة للنفاذ من الرؤية البصرية إلى الرؤية الشعرية "[2].

_ نستنتج من خلال ذلك أنّ الشعر إعطاء صورة جميلة للمعاني,كما أنّ النجارة صورة هي الأشكال التي تعطيها الصناعة للخشب,و المادة هي النحت القابل لأخذ الصور فكذا الشّعر,و إذا كان العرب قديماً قد ميزوا بين الشّعر و النثر بواسطة الإيقاع الموسيقي,فقالوا:الشّعر كلامٌ موزون مقفى,فإن الذّي يميّز لغة الشّعر عن لغة النثر هو الصورة الفنية التي بفضلها يحقق الشّعر عنصرّ السّحر.

_ و ليس ذلك بالغريب,فطوق الحمامة كتاب في الحّب,وهل يكتمل الحديث عن الحّب إلا بالشّعر؟و من هنا يلاحظ أنّ الغزل و العاطفة و الحديث عن المرأة على وجه الخصوص.كان وثيق العلاقة بالشّعر منذ نشأته الأولى و لعّل السّبب في ذلك أنّ الشّعر صورة من صور النّفس الذاتية,التي ترتبط بخلجات العاطفة,فكان لابُّد له,و هو الصّادر عن الوجدان أنّ ينصّب في جانب كبير منذ نشأته غلى المرأة التي هي محور كل عاطفة و مناط كل شّعور كلّ ذاتي.

يقول ابن حزم في كتابه:"و التزمتُ في كتابي هذا الوقوف عند حدك و الإقتصار على ما رأيت أوصح عندي بنقل الثقات, ودعني من أخبار الأعراب والمتقدمين فسبلهم غير سبيلنا,و قد كثرت الأخبار عنهم وما من هي أنّ أنضي مطية سواي ولا أتحلى بحلي مستعار و اللّهُ المستغفر المستعان لا رب غيره"[3].

هذه هي الأسئلة التي ترّد في ذهن القارئ عند تأمل في كلام ابن حزم في إيراد الشّعر في كتاب طوق الحمامة؟وَحَسْبُنَا في ذلك أقل وهلة ما درج عليه اين حزم في تقديمه لكّل مقطوعة من مقطوعاته أو بيت مفرد من أبياته فهو يحرص على نسبتها إلى نفسه ولو تكرر ذلك الموضع عدّة مرات كقوله:"ولي أبيات جمعت فيها كثيراًمن هذه العلامات",و قوله"و في ذلك أقول شعراً,و قوله:"و في مثله أقول في كلمة طويلة",و قوله."منّ قصيدة لي",إنّ ذلك يلفت انتباهاً إلى أنّ هناك نغمة الحريص على إثبات قوله,و ربمّا يكون راجعاً إلى أنّ منهج التعليم في تلك

[1]- إبراهيم رماني، **الغموض في الشعر العربي الحديث**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت، ص85
[2]- ساسين عساف، **الصورة الشعرية و نمادجها في ابداع أبي نواس**، بيروت لبنان، دط، دت، ص254
[3]- طوق الحمامة، ص14

العصور كان يقوم أساساً على حفظ كتاب اللّه,ثم رواية الشّعر,و ابن حزم نفسه يخبرنا في رسالته هذه أنّ منهج تعليمه في صغره,كان يشمل رواية الشّعر في قوله:"و هنّ علمنيني القرآن و رويْنني كثيراً من الأشّعار"[1].

فإذا انتقلنا إلى الأغراض التي أنشأ ابن حزم شعره في طوق الحمامة سنجد أنه أورد شعراً من أشعاره في كل فصل من فصول الكتاب,ولكل علامة من علامات الحُّب,و لكن هل أفصح الشاعرُ عن إفراط في الوجد و الولعة و أظهر هيامه للمحبوب وانقياده التام له؟و بالتالي ربط بين الذات و الموضوع في عملية الإدراك الجمالي؟

وما نوع الصور التي عبر فيها الشاعر عن ذلك هل هي صور بيانية "بلاغية" كالتشبيه والاستعارة والكناية ،أم وظف الصور الفنية التي هي "جملة من عناصر كثيرة من الخيال والفكر و الموسيقى واللغة [2]"ففي باب "ماهية الحّب"تعرض في هذا الباب عن تعبيره لوقوع الحب حيث يقول :"والذي أذهب اليه انه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليفة في أصل عنصرها الرّفيع ."[3]و يواصل قائلا :"إن سر التمازج والتباين في المخلوقات انما هو الانفصال و الاتصال والشكل أبا يسعى الى شكله والمثل الى مثله ساكن وللمجانسة عمل محسوس "ويشرح هذا المعنى في أبياته الآتية:

ـ ودادي لك الباقي على حسب كونه * تناهى فلم ينقص شئ ولم نرد .

ـ وليست له غير الارادة علة *ولا سبب حاشاه يعلمه أحد .

ـ اذا ما وجدنا الشئ علة نفسه *فذاك وجود ليس يغنى على الأبد.

ـ واما وجدناه لشئ خلا فيه *فاعدامه في عدمنا ماله وجد .[4]

فهذه الأبيات تخلو من أية صورة فنية ،اذ لا تعدو أن تكون شرحا موزونا لفكرته عن علة وقوع الأشياء ،كذلك ظهر أثر الفلسفة في شعره الذي أورده في طوق الحمامة ،حيث كان مشاركا في الفلسفة والحكمة وله فيه نتاج .يقول ابن حزم في معنى خطاب المرئي في الظاهر خطاب المعقول الباطن ،فهو معنى صرفه الشعراء في أشعارهم اذ يقول :

ـ أمن عالم الأملاك أنت أم إنسي****أبن لي فقد أزرى بتمييزي العي .

ـ أرى هيئة إنسيه غير أنه **** إذا عمل التفكير فالجرم العلوي .

ـ تبارك من سوى مذهب خلقه **** على أنك النّور الأنيق الطبيعي

ـ ولا شك عندي أنك الرّوح ساقه**** إلينا مثال في النفوس اتّصالي

---

[1]- طوق الحمامة، ص70.

[2]- جابر أحمد عصفور، **الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العربي**، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط3، 1992، ص21.

[3]- طوق الحمامة، ص18.

[4]- المصدر نفسه، ص15

ـ عدمنا دليلاً في حدوثك شاهداً **** نقيس عليه غير أنّك مرئي

ـ ولولى وقوع العين في الكون لم تقل **** سوى أنّك العقل الرّفيع الحقيقي[1]

فالمعنى في هذه الأبيات تتناول صلة النفس بالجسم,و أن الصورة دليل غلى ما وراءها,و الألفاظ المستعارة ففيها من الفلسفة و علم الكلام واضحة لا تحتاج إلى بيان,فالطبيعة و الحدوث و العقل الرّفيع و الدليل المرئي كلّها مصطلحات الفلاسفة و المتكلمين و هي مصدر من مصادر ثقافة ابن حزم,وهي أيضاً تخلو من الصورة الفنية,إذ لا تَعْد و أنّ تكون ترجمة نثرية لبعض الأفكار التي في ذهن ابن حزم حول هذا الموضوع.وهذا يوضح أنّ ابن حزم ناظم أكثر منه شاعراً صادقاً يَصدر عن عاطفة وينطق عن إحساس و إنفعال ,و ابن حزم نفسه يوفر لنا مشقة الإستدلال على هذا الحكم إذْ يُصرح ذلك في بداية كتابه فيقول:"و سأورد في رسالتي هذه أشعارا قلتها فيما شاهدته فلا تنكر أنت و من رآها على أنّي سأسلك فيها مسلك حالكي الحديث عن نفسه,فهذا مذهب المتحليتن بقول الشّعر"[2].ومعنى هذا أنّه ينظّم معاني يدركها بعقله لا الأحاسيس يتأثر بها وجدانه,و لا يصدر في ذلك عن طبع و ضرورة,بل عن تكّلف,فربمّا ابن حزم يشبه شاعر القبيلة,أو الناطق الرّسمي باحساس جماعته,فقد كان يُطلب منه نظم الشّعر في معنى من المعاني أو موقف من المواقف,فيجيب إلى ذلك و ليس هذا مقام الشاعر الصادق الذّي يخرج إلى النّاس باحساس و معاناة في ذاته و وجدانه.

علاقة الصورة بالمعنى

مفهوم "المعنى هو المدخل الأساسي لفهم تصورات النقد العربي و الصورة الفنية و أهميتها، و المعنى يرادف الفكرة العارية المجردة، التي يتفنن المبدع في صياغتها"[3]

و لقد ذهب الفلاسفة إلى ان كل شيء مصنوع لابد له من صورة و هيولى أي شكل و مادة يتركب منها، و قالوا بان العلاقة بين الإثنين علاقة وثيقة لا يمكن الفصل بينهما. و مادام ابن حزم لم يصدر في شعره عن عاطفة او تجربة صادقة فلابد أن هناك أثر للاتجاه العقلي و الفلسفي في شعره، و الناظر في شعره الذي تضمنه كتاب طوق الحمامة نجد تأثيرا واضحا بالمصطلحات الدينية و اللغوية و الفلسفية و الحكمة، و ميلا قويا إلى الجدل و الاقناع لأنه كان مجادلا كبيرا. فمن تأثره بالفقه و أصوله و علوم الدين قوله في الإستدلال أن يحب الإنسان إثنين في وقت واحد حيث يقول:"

كذب المدعي هوى اثنين حتما **** مثل ما في الأصول أكذب ماني

---

[1]- ينظر، طوق الحمامة، ص:22.

[2]- طوق الحمامة، ص:

[3]- مصطفى ناصف، **نظرية المعنى في النقد العربي**، دار العلم، القاهرة، د ط، 1965، ص:390.

ليس في القلب موضع لحبيبي **** ـن و لا أحدث الأمور اثنان

فكما العقل واحد ليس يدري **** خالقا غير واحد رحمان

فكذا القلب واحد ليس يهوى **** غير فرد مباعد أو مدان

هو في شرعة المودة ذو شر **** ك بعيد من صحة الإيمان

و كذا الدين واحد مستقيم **** و كفور من عنده دينان[1]

أين هذا من قول الشاعر ابن زيدون و قد كان شاعرا معاصرا لابن حزم حيث يقول:

أضحى التنائي بديلا من تدانينا **** و ناب عن طيب لقيانا تجافينا

بنتم و بنا فما ابتلت جوانحنا **** شوقا إليكم و لا جفت مآقينا

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا **** يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا **** إن طالما غير النأي المحبينا

و الله ما طلبت أهواءنا بدلا منكم **** و لا انصرفت عنكم أمانينا .[2]

فعلاقة الصورة بالمعنى علاقة واضحة فاللفظة التي يسجلها الفنان ابن زيدون في وضع معين للشيئ تضفي الحياة على ما تصوره ثم هي تمنحه من الحركة و اللون و الإيقاع ما يجعله أجمل من واقعه، فابن زيدون يعتمد الطباق و الجناس اعتمادا يدل على تمكن فن :(التنائي، التداني، يضحكنا، يبكينا، الأسى، التأسي، أيامنا، لياليا) فهو لا يترجم أفكار موزونة بل يضفي من روحه و ذوقه، و ثقافته على الصورة الفنية التي تحكي أشياء و تتحرك في أوضاع و توحي بمعان. أما شعر ابن حزم فهو يشبه حجج المناطق و جدل المتكلمين و الفقهاء.

التشكيل الجمالي للصورة

طالما كان الشعور هو الأساس في العملية الشعرية و جوهر الخيال الشعري، فاللغة العادية لا تشكل الصورة الفنية لأن الشعور خاص، متدفق، دافئ و اللغة عامة باردة و "لذلك فالصورة تقيم علاقات جديدة بين كلمات اللغة لتخصص التعبير عن الشعور فالعلاقات بين أطرافها ليست مجرد باردة، بل شعورية دافئة، تنقل حدسا شعوريا بطريقة جمالية"[3] ففي باب العاذل و الرقيب و الواشي و هم من معوقات قيام الحب، أو استمراره. و قد أفرد ابن حزم لكل منها بابا خصصه في بحث صفات كل واحد منهم و طرائق عمله و كيفية التغلب عليه.

---

[1]- طوق الحمامة، ص40.

[2]- الأدب الأندلسي، **موضوعاته و فنونه، مصطفى الشكعة**، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط 3 ، 1975،ص147

[3]- مدحت سعد محمد الجبار، **الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي**، الدار العربية للكتاب تونس، دط، 1984،ص27

فالعذال أنواع: عاذل يريد المساعدة، صديق، و هو زاجر للنفس ضابط لتهوراتها.

و عاذل زاجر لائم لا يفيق من الملامة، و ذلك خطب شديد و عبء ثقيل و عظيم[1]. و الرقيب أفة من افات الحب العظيمة و أنه لا حمى باطنة و برسام ملح و فكر مكب.

و الرقباء أيضا أنواع: أولهم مثقل بالجلوس غير متعمد في مكان إجتمع فيه المرء مع محبوبه و عز ما عليه إظهار شيء من سرهما و البوح بوجدهما و الإنفراد بالحديث[2].حيث يقول:

يطيل جلوسا و هو أثقل جالس **** و يبدي حديثا لست أرضى فنونه

شمام ورضوى و اللكام و يذبل **** و لبنان و الصمان و الحزن دونه[3]

ثم رقيب يريد معرفة امر محبيه، فيدمن الجلوس و يطيل القعود، و يتخفى بالحركات و يرمق الوجوه، و يحصل الانفاس:

مواصل لا يغب قصدا **** أعظم بهذا الوصال غما

صار و صرنا لفرط ما لا **** يزول كالإسم و المسمى [4]

ثم رقيب على المحبوب، فذلك لا حيلة فيه إلا بترضيه، و إذا أرضي فذلك غاية اللذة، و هذا الرقيب هو الذي ذكرته الشعراء في أشعارها:

ورب رقيب أرقبوه فلم يزل **** علي سيدنا عمدا ليبعدني عنه

فمازالت الألطاف تحكم أمره **** إلى أن غدا خوفي له آمنا منه

و كان حساما سل حتى يهدني **** فعاد محبا ما لنعمته منه[5]

فهذه الابيات تخلوا جميعا من أي صورة فنية فلا تعد ان تكون إحالة عقلية موزونة لأفكاره النثرية التي يريدها في المتن النصي. و في موضوع اخر يصف ما رأه من تذلل محبوب إلى محبوبه و خروج ذلك عن الحد الطبيعي أو المألوف عكس ذلك، حيث يشبه تواضع المأسور للأسر و المأمول للأمل و الفاعل للمفعول و المسئول للسائل:

و من أعاجيب الزمان التي **** طمت على السامع و القائل

رغبة مركوب إلى راكب **** و ذلة المسؤول للسائل

و طول مأسور إلى آسر **** وصولة المقتول للقاتل

---

[1]- طوق الحمامة، ص67.
[2]- طوق الحمامة، ص71.
[3]- المصدر نفسه، ص71.
[4]- المصدر نفسه، ص72.
[5]- المصدر نفسه، ص72.

ما إن سمعنا في الورى قبلها **** خضوع مأمول إلى آمل

هل هاهنا وجه تراه سوى **** تواضع المفعول للفاعل[1]

فجاءت لفظة المفعول للفاعل بعيدة التصور لا حركة فيها و لا حياة، و قد كان جدليا يحب الانتصار و الغلبة و يميل إلى الإقناع، و قد تسرب ذلك إلى شعره و هو مناف لطبيعة الشعر و إيحائه، فالشعر إيحاء و تصوير لا إقناع و تجريد، يقول في معنى إنتظار الزيارة:

أقمت إلى أن جاءني الليل راجيا **** لقاءك يا سؤلي و يا غاية الامل

فأيأسني الإظلام عنك و لم أكن **** لا يأس يوما إن بدا الليل

و عندي دليل ليس يكذب خبره **** بأمثاله في مشكل الأمر يستدل

لأنك لو رمت الزيارة لم يكن **** ظلام و دام النور فينا و لم يزل[2]

فابن حزم يريد ان يصف جمال محبوبه بالإضاءة حتى يبدد ظلام، و كان يمكنه ان يصور ذلك مع تجنب كلمة "و عندي دليل" و "مشكل الامر" و "لأنك لو" فكل هذه الأساليب تليق بالمنابرة أو الخصومة و لا تنسجم مع روح شعر الغزل. غير ان هناك مع كل ذلك بعض التجارب الشعرية السابقة لديه، لم تثقلها القيود و لم تعق حركتها الاصطلاحات او العلوم أخذ فيها ابن حزم مأخذ الشعراء لا العلماء كقوله:

هل لقتيل الحب من وادي **** أم هل لعاني الحب من فادي

أم هل لدهري عودة نحوها **** كمثل يوم مر في الوادي

ظللت فيه سابحا صاديا **** يا عجبا للسابح الصادي

ضنيت يا مولاي وجدا فما **** تبصرني ألحاظ عوادي

كيف اهتدى الوجد إلى غائب **** عن أعين الحاضر و البادي

مل مداواتي طبيبي فقد **** يرحمني للسقم حسادي [3]

كذلك وجدنا في كتابه طوق الحمامة أبيات يتحدث فيها عن الحنين إلى بلده و فيها شوقا إلى الديار معاهد الذكريات حيث العيش السعيد، و اجتماع شمل الأحباب، فأصبحت أطلالا و رسوما دارسة تبكي فراق الشاعر الذي غادرها إذ يقول:

أجل هو ربع قد عفته الرواسم **** فهل أنت ويب غيرك حابس

[1]- المصدر نفسه، ص86.
[2]- طوق الحمامة، ص29.
[3]- طوق الحمامة، ص88.

فقل له أن تحبس العيس ساعة **** فتبكيك الرسوم الطوامس

فالشاعر يستوقف الركب هنا على عادة شعراء الأطلال، و يوقف العيس ليسائلها عما فعل الدهر بها، و يأخذ العبرة من تقلبات الزمن و تحول الأيام، هكذا يعرج بناقته على تلك الأطلال، يبكيها و يذرف الدموع على ماضيه هناك، لقد كان عيشه بها رائعا –لو دام– لكن هيهات فالدهر قد أتى على الجميع يقول مخاطبا الربع:

فعجب عليه ناقتي و هو سبسب **** سقته و جادته الغمام الرواجس

فقلت و دمعي ساكب متحدر **** و انسان عيني في هواميه غامس

لقد كان عيشي فيك لو دام و لكن **** أبت ذاك الحظوظ الأباخس

ليالي من أهواه يمسي كأنه **** من العقر ظبي بالصريمة كانس

و إذا شملنا باق جميعا محسد *** و لم تقتطع ذاك الدهور الدهارس [1]

فهذه الأبيات تسير على منوال القدماء في مراعا اللفظ و ذكر الأطلال، الظباء، و العيس، و الدهارس، و السباسب ... الخ.

فقد أخرج الشاعر من دياره بقرطبة إبان الفتنة لها، و جاب المدن الاندلسية، متنقلا بين مدينة و أخرى و عند عودته غليها وجدها أطلالا دارسة لما نالها من خراب و ما تعرضت له من نهب، فلغة البكاء على الأطلال و الحنين إلى العيش الغابر هي اللغة المباشرة في هذا المقام.

و هناك قصيدة كتبها اثناء حبسه و هو يتشوق إلى أهله و أصحابه، و هي مزيج من اللوعة و الحزن و الحنين إلى الحرية و اللهفة إلى لقاء الأهل و الخلان يقول:

مسهد القلب في خديه أدمعه **** قد طالما شرقت بالمجد أضلعه

داني الهموم بعيد الدار نازحا **** رجع الانين يسكب الدمع مفزعه

و لى فولى جميل الصبر يتبعه *** و صرح الدمع ما تخفيه أضلعه

جسم ملول و قلب آلف فإذا **** حل الفراق عليه فهو موجعه

لم تستقر به دار ولا وطن **** و لا تدفأ منه قط مضجعه

كانما صيغ من رهو السحاب فما **** تزال ريح إلى الآفاق تدفعه

كأنما هو توحيد تضيق به **** نفس الكفور فتأبى حين تودعه

أو كوكب قاطع في الأفق منتقل **** فالسير يغربه حينا و يطلعه

[1]- طوق الحمامة، ص110.

أظنه لو جزته أو تساعده **** ألقت عليه انهمال الدمع يتبعه [1]

ففي هذه الأبيات شكوى موجعة مما آلت إليه حالة الشاعر من ضعف و نحول، ثم في حنين عارم إلى أهله ينادي ذاك الراحل بعيدا، نحو دياره، حيث يوجد رمقه و قلبه:

يا راحل عند حي عنده رمقي **** إقرأ السلام على من لم أودعه

إنه نداء محمل باللهفة و الأشواق ، إلى الأحباب الغائبين و قد استعمل الشاعر في هذه القصيدة كل الأساليب الإنشائية التي تظهر إنفعالاته و لهفته إلى الحرية، كأسلوب الاستفهام و النداء و غيره.

العناصر الحسية للتصوير الشعري عند ابن حزم:

- إن التجربة الشعورية: "تتبدى من خلال الصورة التي يقدمها الفنان، ذلك أنه لا يفصح دائما عن مراميه وأعماقه التي تحس وتنفعل، قد يحدثنا الشاعر حديثا مباشرا إلا أنه يلجأ إلى صورة لتعبر عن إحساسه بداخله، فإختيار الزاوية التي يقف عندها جزء من موقفه، ثم سعيه إلى أن يرسم الأشياء والناس والأفعال كما هي في نفسه، يتطلب أن يجعلها اكبر أحيانا وبلون آخر أحيانا وهكذا يخرج من إطار المحدود إلى مجال يتسع ويستجيب إلى رغبته وميوله"[2]

وتأسيا على هذا ونحن نعاين التجربة الشعورية داخل القصائد والمقطوعات أن نجمل الحديث عن بعض مكوناتها.

- **التشكيل البياني**: "الصور هي الشكل الفني التي تتخذه الألفاظ العبارات بعد أن ينظمه الشاعر في سياق بياني خاص وذلك ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز، وغيرها من أدوات التعبير الفني" [3] ، من خلال هذا المفهوم يتبين لنا ان الصورة مجموعة من الصور المتتالية والمرتبطة بالحالة الشعورية والنفسية للمبدع، وانطلاقا من ذلك تأتي لحظة الابداع والتصوير لتقدم صورة كلية للخطاب الشعري.

- عناصر تشكيل الصورة:

- **الصورة التشبيهية**: وقد عرفها الجرجاني بقوله: "أن تثبت لهذا معنى من المعاني ذاك أو حكما من أحكامه"[4]

---

[1]- المصدر نفسه، ص105.

[2]- فايز الداية:**جمالية الأسلوب**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1996، ص71 – 72 .

3- زكية خليفة مسعود: **الصورة الشعرية في شعر ابن المعتز**، منشورات جامعية بنغازي ، ليبيا ، ط1، 1999 ص 22.

[4]- الجرجاني عبد القاهر:**أسرار البلاغة**، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة السعودية، ط1، 1991، ص90.

وللصور التشبيهية قيمة ترتكز على درجة التفاعل بين طرفي التشبيه و الثأتير والتأثر بين طرفي الصورة.وتعد التشبيهات من الأدوات الفنية والتعبيرية إلى استعان بها ابن حزم يقول:

كأنها حين تخطو في تأودها قضيب نرجسية في الروض مياس
كأنما خطوها في قلب عاشقها ففيه من وقعها خطر وسواس
كأنما مشيها مشي الحمامة لا كد يعاب ولا بطء به باس[1]

يصف هذه المحبوبة ويشبه مشيتها بالحمامة التي تمشي ببطء فخطواتها تشبه قضيب زهرة النرجس .ويقول أيضا:

غافض الفرصة واعلم أنها كمضي البرق تمضي الفرض
كم أمور أمكنت أهملها هي عندي إذ تولت غصص
بادر الكنز الذي ألفيته وانتهز صيد كباز يقنص.[2]

يدعو الشاعر إلى استغلال الفرصة لأن الفرصة تمر مر السحاب ويشبه بمضي البرق، الذي سرعان ما يزول، كما يدعو إلى المبادرة للنيل بالمحبوب وتحقيق الوصال.

ـــوفي باب الرقيب يقدم لنا الشاعر تصويرا جميلا لهذا الإنسان الذي يراقب المحبين ويعمل على التفرقة بينهما بمختلف الطرق والسبل فهو عائق وأصل البلاء.

صبان هيمانان في واحد كلاهما عن خدنه منحرف
كالكلب في الآري لا يعتلف ولا يحلي الغير أن يعتلف.[3]

ويقول أيضا:مهذبة بيضاء كالشمس إن بدت * وسائر ربات العجال نجوم[4].

ـــإن تشبيه الحبيبة بالشمس شيء مألوف ومكرر ولا يضيق جديد وهذا المعنى مستمد من النابغة:

كأنك شمس والملوك كواكب * إذ طلعت لم يبد منهن كوكب

لكننا إذا تأملنا الأبيات التالية فسنجد أنفسنا أمام صور إيجابية متميزة عن سابقتها:

---

[1]- طوق الحمامة: ص83.
[2]- المصدر نفسه: ص 65.
[3]- المصدر نفسه :ص 73.
[4]- المصدر نفسه :ص 116.

سلام على دار رحلنا وغويت خلاء من الآهلين موحشة قفرا
تراها كأنها لم تغنى بالأسى بلقعا ولا عمرت من أهلها قلبنا دهرا
فيا ذا لم يقفرك منا اختيارنـا ولو أننا نختار كنت لنا قبرا[1]
ويا مجتلى تلك البسـاتين حقها رياض قوارير غـدت بعدنا غبرا
ويا دهر بلـغ سـاكينها تحيتي ولو سكنوا المروين أو جاوزوا النهرا
وأيتها الدار الحبيبـة لا يرم ربوعك جون الفرن يهمي بها القطرا
كأنك لم يسكنك غيد أو أس وصيد رجال أشبهوا الأنجم الزهرا .[2]

في هذه الأبيات يبكي ابن حزم حسرة شديدة وألما عميقا وعاطفة صادقة هي نبض القلب الكائن الحي الذي هو الإنسان بالدرجة الأولى فالشاعر يعبر عن شجونه وهمومه الذاتية فهو يتألم تألما شديد ويبكي ما حل بقرطبة وبمنازل أهله بسبب اجتياح البرابرة قرطبة إذ نهبوها نهبا وخربوا ما فيها من العمران والرياض والبساتين وهلكوا أهلها وأذاقوهم أمر العذاب.

فابن حزم يصور نوعا خاصا من الألم والحزن عن حبيب له هجره وهو يبق اليأس واليقين من عودته إليه:(ويا مجتلى تلك البساتين حقها، يا دهر بلغ ساكينها تحيتي،وأيتها الدار الحبيبة لا يرم ربوعك).

- **الصورة الاستعارية:**

تعد الاستعارة شكلا من أشكال الانزياح، يقوم بكسر أفق التوقع عند الملتقى يقول عنها الجرجاني:(إنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع ولها في كل موضع من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف مفرد وفضيلة مرموقة وخلابة مرموقة).[3]

فالاستعارة هي آلية من آليات التشكيل الجمالي لدى المبدع تتجلى في توظيف اللفظ الواحد بمعان متشبعة.

ومن أمثلة ورودها في شعر ابن حزم يقول:

دليل الأسى نار على القلب تلفح ودمع على الخدين يهمي ويسفح

[1]- المصدر نفسه:ص118.
[2]- المصدر نفسه: ص119
[3]- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، **أسرار البلاغة**،ص 42، 43.

إذا كتم المشغوف سر ضلوعه فان دموع العين تبدي وتفضح
إذا ما جفون العين سالت شؤونها ففي القلب داء للغرم مبرح[1]

فهذا أصل العتاب بين المحبين عندما يتهم كل واحد منها الآخر ويعرض في الحب سوء الظن بينهما.

وفي شعر آخر يقول:

لكن عيني لم تطق نظرة إلى محيا الرشا الغادر
فالموت أحلى مطعما من هو يباح للوارد والصادر
وفي الفؤاد النار مذكية فأعجب لصب جزع صابر[2]
وقد أباح الله في دينه تقية المأسور للآسر
وقد احل الكفر خوف الردى حتى ترى المؤمن كالكافر

فصورة الموت الواردة في هذه الأبيات تبين مكانة الحب،والهجر وما ينج عنه من جزع وبكاء ويأس، فالنار تشتعل في الفؤاد.

وهذه الاستعارة أضفت عليها حلة جميلة. غير أن الملاحظ في هذه الأبيات، بعض مصطلحات علم الكلام، كالإباحة والتقية والكفر والإيمان كل ذالك يوضح أن شعر ابن حزم ليس إلا نظما تشغله مصطلحات علم الكلام.

[1] – طوق الحمامة: ص 31.
[2] – المصدر نفسه:ص97.

- **الصور الحسية:**

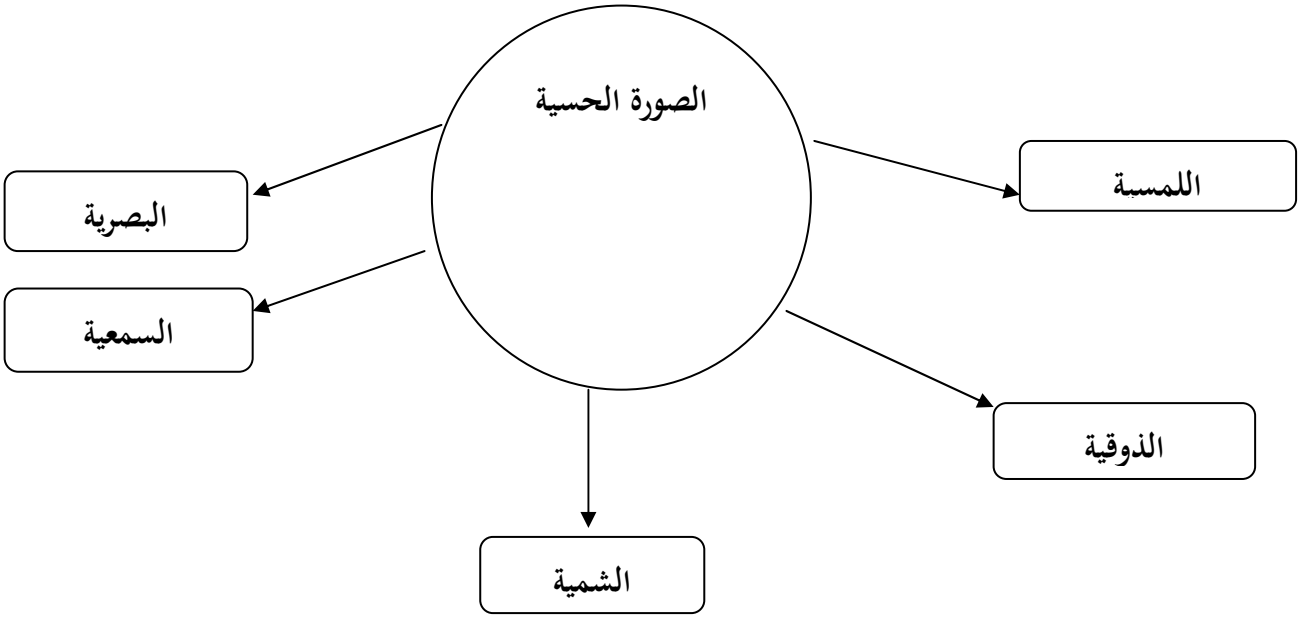

يستقي الشاعر في العادة صورة من بيئته عن وعي منه أو غير وعي وتتم عملية الإحساس بواسطة حواسه الخمس،(إذ لا غنى عن الحواس في إدراك المرئيات، والمسموعات، والمذوقات، والمشمومات، والملموسات).[1]

وتتم عملية الإدخال بواسطة أعصاب تنقل المحسوسات إلى الدماغ الذي يترجمها بدوره، ويصدر أوامر كحكم على المحسوس. فليست الحواس لوحدها تكفي في إدراك الجمال ، بل لابد معها من العقل،لابد معها من الكفر والشعور ليربط بعضها بعض).[2]

والظاهر أن الفلاسفة والنقاد اختلفوا في ترتيب الحواس، فمنهم من قدم اللمس، ومنهم من قدم السمع ومنهم من قدم البصر.ونحن نأخذ برأي الأغلبية الذي قدمت حاسة اللمس على باقي الحواس والشكل يبين ذالك:

- **الصورة اللمسية:**

لسيت اليد لوحدها. كما يعتقد الناس أداة اللمس بل الجلد كله يؤدي وظيفة الملامسة، وإدراك الحقيقة الملموسة.ويرى بعضهم أن الخبرات الجلدية البدائية تتمثل في أربعة إحساسات وهي البرودة والحرارة والألم والضغط.[3]

[1] – حامد عبد القادر:**دراسات في علم النفس الأدبي**، لجنة البيان العربي ، المطبعة النموذجية، القاهرة ،مصر،د،ت، دط،ص 31.

[2] – أحمد أمين:**مبادئ الفلسفة**،دار الكتاب العربي لبنان د،ط 1979،ص56.

[3] – فاخر عاقل:**علم النفس العام دراسة التكييف البشري**،دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط6،1979،ص145.

اختلفت المحسوسات اللمسية عند الشاعر ابن حزم بسبب الحب وما يتعرض له المحبوب من هفوات ونزوات ليصل إلى محبوبه فنجد حاسة اللمس بادية في باب المراسلة ، حيث يقول في باب المراسلة:

عزيز علي اليوم قطع كتابكم ولكنه لم يلف للود قاطع
فآثرت أن يبقى وداد ويمحي مداد فان الفرع للأصل تابع
فكم من كتاب فيه ميتة ربه ولم يدره إذا نمقته الأصابع

فالمراسلة تكون باليد عندما يكتب المحب كتابا لمحبوبه، فهو اللسان وهو اللذة التي يجدها المحب فتقوم مقام الرؤية، وبالنظر إليه سرورا يعدل اللقاء.

وفي صورة أخرى يقول:

جرى الحب مني مجرى النفس وأعطيت عيني عنان الفرس
ولي سيد لم يزرنا فارا وربما جاد لي في الخلس
فقبلته طالبا راحة فزاد أليلا بقلبي اليبس
وكان فؤادي كتبت هشيم يبس رمى فيه رام قبس.[1]

* بعد يأس وطول مدة التقى المحب بالمحبوب وكاد عقله يختلط فرحا فكان فؤاده كنبات يابس رمى فيه الشخص النار فاشتعل شوقا وحنينا.

- **الصورة البصرية (المرئية):**

يضع أغلب الناس حاسة البصر في مقدمة الحواس نظرا لكثرة المدركات البصرية وقد عد منها ابن

الهيثم اثنين وعشرين قسما:(المعاني الجزئية التي تدرك بحاسة الأبصار كثيرة والوضع والتجسم والشكل والعظم والتفرق والاتصال والعدد والحركة والسكون والخشونة والملامسة والشفيق والكثافة والظل والظلمة والحسن والقبح والتشابه والاختلاف في جميع المعاني الجزئية على انفرادها في جميع الصور المركبة من المعاني الجزئية فهذه هي جميع المعاني التي تدرك بحاسة البصر)[2]

وقد حظيت المدونة بالصور المرئية اللونية.

[1]- طوق الحمامة: ص49.

[2]- الحسن بن الهيثم:**المناظرات**، تحقيق عبد المجيد صبرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،دط ،1982، ص230.

- **الصورة اللونية:**

يعتبر أحد الأقسام البارزة المشكلة للصورة المرئية ،وله (دلالات وإيحاءات ورموز تفوق ما عداه من المحسوسات)[1]

وقد جاءت الصور اللونية في الوصف على غيرها حيث يقول:

يعيبونها عندي بشقرة شعرها * فقلت لهم هذا الذي زانها عندي

يعبون لون النور والتبر ظلة * لرأي جهـول في الغواية ممتد

وهل عاب لون النرجس الغض عائب ولون النجوم الزهرات على البعد
وابعد خلق الله من كل حكمة مفضل جزم فاحم اللون مسود
به وصفت ألوان أهل جهنم ولبسته باك مشكل لأهل محتد[2]

ليس العجب فيمن أحب فتاة شقراء فالشاعر يصفها بالنور وبالنرجس للزهر الأبيض الذي يحمل دلالالة الصفاء والنقاء والطهارة والسرور فجميع خلفاء بن مروان كما يقول ابن حزم مجبولون على تفضيل الشقرة وكان منهم الأشقر لاختلاط الأجناس.

كما نجد الصورة المرئية حلية في باب منم أحب من نظرة واحدة وكذا في باب الرقيب الذي يراقب المحدين ويترصد كل حركاتهم وسكناتهم إذ يقول ابن حزم:

يطيل جلوسا وهو أثقل جالس ويبدي حديثا لست أرضى فنونه
شام ورضوى واللكام ويذبل ولبنان والصمان والحزن دونه

فهذا الرقيب يطيل الجلوس مع المدين ليعكر صفو الوصال بينهما فيقتفي الحركات ويحصي الأنفاس وهذا أعدى من الجرب (رضوى اللكام).

وقد عمد ابن حزم إلى توظيف أفعال الرؤية (أرسل الدمع ،تبصر ، النظر) لرسم الصورة الحسية البصرية لتساعده على وصف مشاعره يقول مثلا:

[1]- إبراهيم عبد الرحمان الغنيم: **الصورة الفنية في الشعر العربي**،د.ط، د،ت ، ص89.
[2]- طوق الحمامة: ص44.

عيني جنت فؤادي لوعة الفكر * فأرسل الدمع مقتصا من البصر

فكيف تبصر الدمع منتصفا * منها بإغراقها في دمعها الدرر

لم ألقها قبل إبصاري فاعرفها * وآخر العهد منها ساعة النظر

أفاد ابن حزم من تأثير الصورة البصرية التي وظفها،من حيث أنه يشرك الملتقى معه حسرته وألمه للجارية (خلوة) التي يتغزل بها في أشعاره.

- **الصورة الذوقية:** دلت التجارب على وجود أربعة طعوم مختلقة أساسية هي : الملح، والحامض والحلو، والمر وما عداها من الطعوم ليست إلا مزيجات منهم)[1] ثم اجتهدوا بعد ذالك في محاولة التعرف على توزيع أعصاب الذوق على اللسان، فوجدوها موزعة كالآتي: إدراك الحلاوة في مقدمة اللسان يليه المالح على الطرفين

وقد وردت بعض الصور الذوقية في المدونة ، من خلال ذكر بعض الملفوظات (سقى الله، صوما، يشرب، الراح. ومن المتفق عليه أن طعم الغياب :(البين، الهجر،الموت) ليس كطعم الحضور مثل:(الوصال، المساعد من الإخوان، السفير)

فطعم الحضور يولد الإحساس بالحلاوة والنشوة عند التقاء المحبين فيحدث الوصال، أما طعم الغياب فيولد الشعور بالألم والتعاسة واليأس والقنوط.

وهذه النماذج توضح لنا ذالك:

وقالوا ارتحل فلعل السلو يكون وترغب أن ترعنه

فقلت الردى قبل السلو ومن يشرب السم عن تجربه[2]

فالشاعر يتمنى الهلاك والموت وأن يشرب السم عوضا أن ينسى محبوبه.

ويقول أيضا:

1-ينظر:فاخر عاقل، علم النفس ، **دراسة التكييف البشري**، ص142.

2- طوق الحمامة :ص117.

وسراء أحشائي لمن أنا مؤثر وسـراء أبنائي لمن أتحبب

فقد يشرب الصاب الكريه لعلة ويترك صفو الشهد وهو محبب[1]

فالحبيب في هذه الأبيات منحرف عن محبه، وناظر إلى جهة نفسه في غيرها،فيتجرع غصص الأسى ويترك حلاوة العسل وهو مكره، وربما عبر الشاعر بالشهد عن صفات محبوبه، ولحديث الحب حلاوة يعرفها المحبون.

- **الصورة الشمية:**

إن عضو الشم المعروف عند الإنسان هو الأنف ، ولكي تتم عملية الشم لابد من احد الوسطين: الهواء، أو الماء .فمن(أجل إثارة الخبرة الشمية، يجب أن تكون المادة في حالة بخار،أو غاز)[2]

وهناك محاولات، كالنظرية التي ترى بأن الروائح الأولية التي تتركب منها كل الروائح الأخرى هي : العطرية

(المسك)، الحامضية (الخل) المحروقة (البن المحمص)، والكريهة كرائحة العرق أو الماعز[3].

وبصفة عامة يعبر الانسان عن جميع الروائح بقوله:رائحة طيبة أو رائحة كريهة. وتساعد الحواس الأخرى حاسة الشم في أداء وظيفتها.

ولما كانت الأندلس موطن المشمومات الطيبة فهي تحتوي على الطبيعة الخلابة التي امتلأت بالجمل سواء في الخضرة أو الماء أو الطيور أو الحيوانات المختلفة أو الزهور وذالك نتيجة لخصوبة الأرض ووفرة المياه.

ومن الطبيعي أن تجد الصورة الشمية طريقها إلى قلب شاعرنا ابن حزم:

لقد بوركت أرض بها أنت قاطن وبورك من فيها وحل بها السعد

فأحجرها در و سعدانها ورد وأمواهها شهـد وتربتها ند

فالشاعر يبارك هذا المكان الذي مشي فيه المحبوب، فحبذا استنشاق الورود في المتنزهات مشيا،فتلك الروائح الطيبة المنبعثة من تلك البساتين فهو(نعم العلاج النفسي للنفوس المريضة فمنه تنبثق تباشير السلوك التكييفي التوافقي) .[1]

---

[1]- المصدر نفسه: ص89.

[2]- ينظر:فاخر عاقل، **علم النفس دراسة التكييف البشري**، ص 139.

[3]- المصدر نفسه:ص140.

[1]- يوسف مراد:**مبادئ علم النفس العام**، دار المعارف، ط7 ،1978، القاهرة، ص64.

وفي نموذج آخر يقول:

سقى الله أياما مضت ولياليا تحاكي لنا النيلوفر الغض في النشر
فأوراقه الأيام حسنا وبهجة وأوسطه الليل المقصر للعمر
لهونا بها في غمرة وتالف تمر فلا تدري وتأتي فلا ندري[1]

فالشاعر يتذكر أيام السعادة والفرح التي كان يعيشها مع المحبوب ويدعو الله بالسقاية لتلك الأيام السعيدة، حيث كانت البساتين حافلة بالزهور الجميلة مثل (النيلوفر)، فخبر الحب منتشر كالروائح المشمومة، والنساء كالزهور فالمرأة أشبهت الزهرة في شكلها ورائحتها.

- **الصورة السمعية:**

كثير من العلماء المسلمين لمنم قدم حاسة السمع على البصر، سبب تقدم نكر السمع على البصر في القرآن الكريم. وتتميز حاسة السمع بقدرة عالية لحفظ التواصل المستمر بين الإنسان ومحيطه. وتتجلى لنا في أشعار طوق الحمامة من خلال توظيف الشاعر للألفاظ الدالة على التكلم او الاستماع مثل:(قل، قال ،يقول، غنيت، كلم)

ومثاله:

وكم قال لي من مت وجدا بحبه مقالة محلول المقالة زاري
وقد كثرت مني إليه مطالب ألح عليه تارة وأداري
فقلت له:لو كان ذالك لم تكن عداوة جار في الأنام لجار[2]

ومم ورد من الصور السمعية ما يلي:

منعت جمال وجهك مقلتيا ولفظك قد ظننت به عليا
أراك نذرت للرحمان صوما فلست تكلمين اليوم حيا
وقد غنيت للعباس شعرا هنيئا ذا لعباس هنيا[3]

[1]- طوق الحمامة: ص123.
[2]- طوق الحمامة: ص160.
[3]- المصدر نفسه: ص130،140.

ويقول أيضا :

يقول لي الطيب بغير علم	تداو فأنت يا هذا عليل
ووجه شاهدات الحزن عليه	وجسم كالخيال ضن نحيل
فقلت له ابن عنى قليلا	فلا والله تعرف ما تقول
فقال أرى نحولا زاد جدا	وعلتك التي تشكو نبول
فقلت له: الذبول تعل منه ال	جوارح وهي حمى تستحيل
فما أشكو لعمر الله حمى	وان الحر في جسمي قليل
فقال أرى التفاتا وارتقابا	وأفكار وصمتا لا يزول
فقلت له كلامك ذا محال	فما للدمع من عيني يسيل
فأطرق باهتا مما أراه	ألا في مثل هذا يهتف النبيل
فقلت له دوائي منه دائي	إلا في مثل ذا ضلت عقول

هذه الأبيات مأخوذة من باب الضنى عندما يتحول المحب إلى حد السقام والنحول فهو ممنوع الوصل إما لبين أو هجر.فهذه الإعراض لا يعرفها إلا الطيب الفطن والحاذق،وقد أفاد الشاعر من الطاقة التعبيرية للصورة السمعية فوظفها على حسب غرضه الشعري، فكانت الصورة هادئة حينما وظف أسلوب الحوار بينه وبين الطبيب.وكان جوابه في الأخير دوائي منه دائي) وربما يحدث إلى أن يغلب المرء على عقله فيصبح مجنونا. من خلال ما سبق يظهر لنا الشاعر جميع مظاهر الحب،فهو يقول ما يعتقد ويعبر عما يحس وقد وظف هذه الصور الحسية للتعبير على العديد من أحوال العشاق وما يعتريهم من منغصات.

و مجمل القول ان شعر ابن حزم لم يصدر عن تجربة صادقة بقدر ما صدر عن تكلف و معاناة ساعد عليهما أنه كان يقوم بدور شاعر القبيلة، و يتحدث على لسان إخوانه الذين كانوا يدعمونه القول فيما يعرض لهم، إلى جانب أنه جعل شعره ميدانا للتفنن بالمصطلحات العلمية من كل لون: الفقهية و الدينية و الفلسفية و الطبيعية .....

و إنه و إن كنا قد رأينا ذلك، إلا أنه لا يجب إنكار ما لطوق الحمامة من أهمية و ما لشعره أحيانا، و لعلى حياة ابن حزم و عصره هما اللذان أبعدا شعره في الحب عن مثليه لذى العذريين الذين كانوا أقرب إلى الفطرة و الطبع و الوجدان، لذلك فما نقدمه يخضع للمحاولة لا غير.

الخاتمة

الخاتمة

يُعد كتاب طوق الحمامة من أهم المؤلفات الأندلسية التي تناولت ظاهرة الحب بالدرس والتحليل في أسلوب بعيد عن الفحش والإقذاع ،وفي موضوعية تتم عن طابع علمي، مؤمن بطبيعة بن حزم ،وقد حظي كتاب باهتمام الغرب وعلمائه مستخرجين من موضوعاته وقصصه صورا للعقلية العربية الإسلامية في شموها ونبلها.

– ومن أهم النتائج التي اشتملت عليها الدراسة، حيث تناول هذا البحث دراسة الأخبار والأشعار معا.

– فالأخبار هي عبارة عن سيرة وذكريات واعترافات (الذات و الآخر) فجاءت تمثل ذلك، فقد امتازت بعرض ما يكون بالدراسة النفسية الحديثة القائمة على تتبع الشخصية ودراسة نفسيتها.

– انعكست الثقافة الدينية والفلسفية على أسلوبه اعتمادا على السند والثقات في إيراد الأخبار.

– لاحظنا التداخل الموجود بين الذات المرجعية و الذات السردية القصصية، فالمؤلف الحقيقي عند إنشاء الخبر الأدبي حول موضوع الحب و قضاياه و اعراضه و نتائجه على المحبين يلبس صوت الذات المتلفظة في خطابها، و خاصة في الخبر الذاتي الذي يتحقق فيه التطابق الثلاثي بين المؤلف و الراوي و الشخصية.

– ظهرت دراسة المستوى التركيبي إنزياحات في التركيب والترتيب عن المألوف المعتاد، فجاء التقديم والتأخير يعزز الدلالة، إذ تعدد أشكالها وتنوعت دلالتها.

– وعلى المستوى الدلالي أظهرت الدراسة على وجود حقول دلالية مختلفة كالحقل الفلسفي والديني والتاريخي، لأن الخبر جنس أدبي مرتبط بظروف تاريخية، فهذه الأخبار ليست أكثر من حكايات عاطفية تدور حول فكرة واحدة وهي (الحب).

– جاءت الجمل قصيرة، عفوية غير متكلفة ذات نغم موسيقي غاية في الدقة. وإصابة المعنى، فالنثر ظهرت قوته من خلال خروجه عن القوالب الموروثة حيث يحمل في طياته صدق الأحاسيس والمشاعر.

– معظم الأخبار تحمل التجربة الذاتية والمعاناة الشخصية انتقالا من ملاحظة الآخرين والإدلاء بأخبارهم.

– أما فيما يخص الأشعار فوجدنا ما يلي:

– فهمه للشعر إنطلق من مبدأ ديني أخلاقي فقبل بعض الأغراض الشعرية و رفض أخرى، كما مثل مراحل حياته فهو يعبر عن همومه الفكرية في صراعاته مع الحساد و المناوئين ثم وصفا لمعاناة الرحلة و الاغتراب و الحنين على الديار.

– التحليلوالتفسيرفيشعره،نتيجةثقافتهالمتبحرةالواسعةكالأصولوالجدل،والفقهوالتفسيروالتاريخ...الخخصوصاتلكالأشعارالتيواجهبهاخصومهمجادلا

– جأت الصور البيانية بسيطة واضحة كالتشبيه و الاستعارة، لا ترقى إلى مستوى الصورة الفنية التي تقيم علاقات جديدة بين كلمات اللغة بطريقة جمالية.

– تتراوح عدد الأبيات في طوق الحمامة بين البيت الواحد والثمانية والثلاثين بيتا.

– وظف كتاب طوق الحمامة مئة وتسعة وسبعين قطعة بين قصيدة ومقطوعة .

– جاء الشعر تقليديا محضا، متكلفا في الكثير من الأحيان، ويدعم ذلك قوله عن نفسه: ""والشعراء يقولون ما لا يفعلون وإنما أقتفى أثرهم لأن الصنعة تلزم ذلك""

– الشعر عنده يكاد يطابق الحياة لذلك كثر الارتجال في شعره إذ كان لديه نفس واسع و بال طويل، و المرأة التي وصفها هي امرأة واقعية متميزة تعيش في بيئة أندلسية.

– موضوعات الشعر جاءت مكتملة للأخبار وبالتالي فقد تعددت أغراض الشعر بحسب ما يقتضيه الموضوع، وغالبا ما كان يدور حول الجمال ، فقد تحدث عن: الطبيعة والحب والجمال والصداقة والحكمة والوعظ، كما كان الشعر الديني بارزا، يعكس ثقافته الفقهية واللغوية والفلسفية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

1- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا : المصادر

1- طوق الحمامة في الألفة رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه ، تأليف الإمام على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي تحقيق الدكتور محمد يوسف الشيخ محمد وغريد يوسف الشيخ محمد ،الكتاب العربي ، بيروت، لبنان ، ط3.، 1991.

ثانيا المراجع العربية

1. إبراهيم رماني الغموض في الشعر العربي ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر 1991.
2. إبراهيم عبد الرحمان الغنيم الصورة الفنية في الشعر العربي ، الشركة العربية للنشر والتوزيع مصر ، ط1 ، 1996.
3. ابن بشكوال ، خلف بن عبد الملك ، الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966.
4. ابن جني ،ابو الفتح عثمان،خصائص تحقيق محمد علي النجار،بيروت دار الطباعة والنشر،ط2، د ت.
5. ابن حزم علي بن أحمد بن حزم ، الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط1، 1978.
6. ابن منظور جمال الدين أبو الفضل ، لسان العرب ، اعداد يوسف خياط ، دار اللسان العرب ، بيروت ، لبنان ، 1981.
7. إحسان عباس ، الادب الأندلسي في عهد سيادة قرطبة ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان د ط، 1996
8. إحسان عباس ، فن السيرة ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط1،1996.
9. أحمد أمين، مبادئ الفلسفة، دار الطباعة والنشر مصر القاهرة، ط3، 1994.
10. أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي ، دار الطباعة والنشر ، مصر القاهرة ، ط3، 1996.
11. أحمد درويش ، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، دار غريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1988.

12.أحمد ضيف ، بلاغة العرب في الأندلس ، دار الشروق ، للنشر والتوزيع ، ط1، 1996.

13.أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة،ط05 ،1995.

14.أحمد ويس، الانزياح في التراث النقدي والبلاغي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د ط ، 2002.

15.الاصفهاني ابن داوود ابو بكر محمد بن سليمان ، الزهرة ، تحقيق ارنست تيكل وابراهيم طوقان ، مطبعة دار شيكاغو ، 1932.

16.أنجل بلنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، د ط ، 1965.

17.البركاوي عبد الفتاح عبد العليم، درامات في دلالات الألفاظ والمعاجم اللغوية، القاهرة ، ط2، 2003.

18.برونفسال ليفي ، أدب الأندلس وتاريخها ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة دار الأميرية ، القاهرة ، ط1،1951.

19.التنوخي محمد، المعجم المفصل في الأدب، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2 1999.

20.جابر أحمد عصفور ، فن الشعر ، دار المعارف ، القاهرة ، د ط ، 1978.

21.جابر أحمد عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط3، 1992.

22.الجاحظ عمرو بن بحر، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط4، القاهرة ، 1975.

23.الجرجاني عبد القاهر ، أسراء البلاغة ، تعليق محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة السعودية / ط1، 14991.

24.جرار جينيت، خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم و أخرون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1996.

25.الحاجري طه ، ابن حزم صورة اندلسية ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ط1، د ت.

26.حامد عبد القادر ، دراسات ، دراسات في علم النفس الأدبي ، لجنة البيان العربي ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، مصر ، د ت.

27.الحسن بن الهيثم ، المناظرات ، تحقيق عبد المجيد صبرة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت، 1982.

28.حسن محمد عبد الغني التراجم والسير ، دار المعارف مصر ، ط1، 1969.

29.حلمي خليل ، الكلمة دراسة لغوية معجمية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ط ،1980.

30.حمادي صبري مسلم، أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة، المؤسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 1960.

31.الحميدي ، محمد بن فتوح ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د ت.

32.الدايم يحي عبد الله ابراهيم ، التراجم والسير ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،1969.

33.رضا أحمد، معجم متن اللغة، المجلد الرابع، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان 1960.

34.الزعبي أحمد ، التناص نظريا وتطبيقيا ، مؤسسة عمون الأردن ، عمان ، د ط ،2000.

35.زكية خليفة مسعود الصورة الشعرية في شعر ابن المعتز ، منشورات جامعية بنغازي ، ليبيا ، ط1، 1999.

36.سعيد يقطين، الكلام و الخبر، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997.

37.سعيد جبار، الخبر في السرد العربي، الثوابت و المتغيرات، شركة النشر و التوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2001.

38.ساسين عساف، الصورة الشعرية و نماذجها في ابداع أبي نواس، دار العلم للملايين، دط، دت،

39.السعافين ابراهيم وآخرون، أساليب التعبير الأدبي، دار الشروق، عمان الأردن 1997.

40.السكاكي ابن علي ، مفتاح العلوم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط 1، 2000.

41.الشربيني لطفي،معجم المصطلحات النفسية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، دط، 2000.

42.شكري محمد عياد ، فن الشعر لارسطو ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، د ط، 1967.

43.الشنتريني ابن بسام، الذحيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية للكتاب، 1975.

44.شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، الجزء الأول العصر الجاهلي، دار المعارف، بمصر، ط6، 1963.

45.الطليطلي صاعد بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد التغلبي، طبقات الأمم تحقيق حياة علوان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، د ت.

46.عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط2، دت.

47.عبد الرحمان العيساوي، علم النفس، دار المعرفة الجامعية، مصر 2000.

48.عبد السلام المسدي، الأسلوب، الدار العربية للكتاب بيروت، ط2،1982.

49.عبد اللطيف شرارة ، ابن حزم رائد الفكر العلمي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1964.

50.عبد الله ابراهيم، السرد والاعتراف والهوية، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، لبنان، ط1،2011.

51.عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في الأندلس، ط1.د ت.

52.عز الدين اسماعيل الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الثقافة بيروت، لبنان ، د ط، د ت.

53.عزة غنام، الفن القصصي العربي القديم من القرن الرابع إلى القرن السابع، دار الفنية للنشر و التوزيع، دط، 1991.

54.عمر حلي، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ،ترجمة لكتاب LA PACTE AUTOBIOGRAPHIE، للكاتب الفرنسي PHILIPE LE JEUNE

55.فاخر عاقل علم النفس دراسة التكييف البشري، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط6، 1979.

56.فايز الداية، جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، بيروت ط2، 1996.

57.فليب حتى، العرب تاريخ موجز، دار صدر بيروت، ط4، 1968.

58.الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2 1971.

59.القاضي محمد، الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، دار العرب الإسلامي بيروت لبنان، ط1، 1998.

60.القرطاجني حازم، منهج البلغاء وسيراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخواجة، تونس، د ط، 1966.

61.لويس أنيتاغفين، ترجمة نجم عبد الله مصطفى، نظرية العشق عند العرب، دراسة تاريخية، دار المعارف، للطباعة والنشر، تونس ط1، 1985.

62.ليلى قريش روز لين، بنو هلال سيرتهم وتاريخهم، منشورات الشهاب، 1996

63.محمد سعد الجبار، الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، الدار العربية للكتاب، تونس، دط، دت

64.المراكشي عبد الواحد، المعجب في أخبار المغرب، تحقيق شوقي ضيف دار المعارف القاهرة،ط1، ط ت

65.مصطفى سويف، الأسس النفسية للابداع الفني، دار المعارف القاهرة، مصر، ط4،1969.

66.مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي القديم، دار العلم القاهرة، د ط ، 1965.

67.مصطفى الشكعة، الأدب الاندلسي، موضوعاته و فنونه، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط3، 1975

68.المقري، أحمد بن محمد، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، د ط، 1408 هـ.

69.مكي الطاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم الأندلسي في كتابة طوق الحمامة، دار مكتبة وهبة مصر، ط4، 1993.

70.نجم محمد عبد الغني، التراجم والسير، دار المعارف مصر، ط1 1969.

71.يحي ابن شرف النووي، الأربعين النووية، دط، دت.

72.يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار الميسرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1،2007.

73.يوسف مراد، مبادئ علم النفس العام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7، 1978.

ثالثا: الدوريات والمجلات :

1- غيور غي غاتشف،ترجمة نوفل نيوف، الوعي والفن مجلة سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 146 فيفري 1990.

رابعا: الرسائل الجامعية :

1. الحسيني القاسم: الشعر الاندلسي في القرن الخامس الهجري،رسالة ماجستير، الدار البيضاء، المغرب، 2004
2. سيزا أحمد قاسم: طوق الحمامة تحليل ودراسة ونقد، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، مصر، 1971.

خامسا: المعاجم

1. المعجم الطبي الموحد، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، دط، 2002.
2. معجم المعاني الجامع، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، دط، 2000.

سادسا: المراجع الأجنبية :

1. André maurois « cinqs visages de l’amour » Didier، New York 1942 chapitre III les héroïnes de Stendhal
2. Durnels : new English encyclopedia (Biography) 3 edition Hachette 1978.
3. Ferdinan de Saussure Essais de linguistique générale paris (2) minuit ،1963.
4. Jean dubois et autres ، dictionnaire de lingustique ed larousse Bordas ، 2002.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الفصل الأول: ابن حزم حياته وعصره	
قرطبة على أيام ابن حزم	08
ابن حزم الأندلسي: مولده ونشأته وثقافته	08
أزمة الخلافة وآثاره	13
المنفى وخيبة الأمل	14
الحب في الأندلس	15
كتاب طوق الحمامة (تعريفه، أهميته، أسلوبه)	18
المرأة من خلال طوق الحمامة	26
شخصية ابن حزم	28
ابن حزم عالم النفس	31
خلاصة الفصل الأول	36
الفصل الثاني: مضمون الإعتراف	
تعريف السيرة الذاتية	38
تعريف أدب الاعتراف	32
ابن حزم رائد أدب الاعترافات	40
أدب الإعتراف وعلاقته بالمنفى	45
تجسيد الاعتراف في كتاب طوق الحمامة	46
خلاصة الفصل الثاني	51
الفصل الثالث: شكل الإعتراف	
دراسة الأخبار (دراسة الحكايات)	53

فعالية الخبر	53
بنية الخبر السردية	54
الزمن بين الخبر و الحكاية	55
الخبر و بنية الفضاء	56
الدراسة الأسلوبية للأخبار	62
دراسة الأشعار	92
مفهوم الصورة الفنية	92
علاقة الصورة بالمعنى	94
التشكيل الجمالي للصورة	95
العناصر الحسية للتصوير الشعري عند ابن حزم	99
خاتمة	110
قائمة المصادر والمراجع	113
الفهرس	121

الملخص

تنحصر دراستنا تحت عنوان: (أدب الاعتراف عند ابن حزم الأندلسي في كتابه طوق الحمامة: دراسة أسلوبية)، هذه الدراسة تهدف إلى الكشف عن اعترافات ابن حزم في كتابه طوق الحمامة، وسرد تجربته الذاتية، فهو قطعة أدبية نفسانية، تصف لنا أخلاق البشر بأسلوب يفيض حيوية، واتخذنا المنهج النفسي سبيلا، واتبعنا لحل هذه الإشكالية خطة تكونت من: مقدمة وثلاثة فصول: تمهيد ثم جاء الفصل موسوما بقرطبة على أيام ابن حزم و اشتمل على: ابن حزم مولده و نشأته – أزمة الخلافة وأثارها، يليه المبحث الثاني الذي اشتمل:

الحب في الأندلس - كتاب طوق الحمامة (تعريفه،أهميته، أسلوبه) المرأة من خلال طوق الحمامة – شخصية ابن الحزم، - ابن حزم عالم النفس، أما الفصل الثاني فوسمته: مضمون الاعتراف واشتمل على: تعريف السيرة الذاتية وأدب الاعتراف – ابن حزم رائد أدب الاعتراف – تجسيد الاعتراف و الفصل الثاني تضمن شكل الاعتراف الذي درس الأخبار (دراسة الحكايات) ثم دراسة الأشعار (الصورة الفنية) في كتاب طوق الحمامة، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع. واهتديت في نهاية دراستي الى جملة من النتائج وهي:الأخبار التي أوردها ابن حزم في كتابه طوق الحمامة، هي جملة من الاعترافات(الذات و الآخر) لحياته الشخصية، و حياة الوزراء و الأمراء و الطبقة الحاكمة. فقد عانى أو صاب النفي والغربة، ويعتبر أبرز فقيه اشتهر بدراسته الرائدة في فن الحب العفيف. لم يظلم ابن حزم المرأة، أو يحملها المسؤولية الاجتماعية عند الخطأ وحدها، أو ينتظر منها فوق طاقتها، بل إنه يحدد الصلاح لدى الرجل والمرأة معا.

Résumé:

Notre étude est limitée sous le titre: (la confession littéraire dans le livre de Ibn Hazm (le colier de la colombe)

Cette étude vise à révéler les confessions Ibn Hazm dans son livre L' l'éthique des êtres humains d'une manière débordante de vitalité.

Et nous avons pris une trajectoire d'approche psychologique، et pour résoudre ce problème nous avons suivie: Introduction et trois chapitres.

premier Chapitre : la vie de Ibn Hazm suivie par le second chapitre ، qui comprenne : L'Amour en Andalousie le livre « le colier de la colombe » la femmes à travers ce livre.

le dernier chapitre la définition « confession et Biographie »

la forme de réalisation de la confession dans le livre et une conclusion.

Enfin، nous avons essayé de fournir un modèle pour l'étude psychologique stylistique de ses poèmes dans son livre، ce sont les aveux de l'Imam Fakih، qui n'a pas hésité à aborder، d'une manière audacieuse et précise. et cité beaucoup d'histoire qui représentaient la vie amoureuse.